



عدالة مستنيرة
ومسؤولية حاضرة

فوزي السيف

الطبعة الثالثة



عدالة مستنطرة
ومسؤولية حاضرة

فوزي السيف

حقوق الطبع مَحْفُوظة

الطبعة الثالثة

٢٠٢٣م

خطوط الغلاف

الثلاث: الخطاط صالح الحداد

الفارسي: السيد حسين القلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أحرر نهاية هذه الصفحات على أعتاب النصف من شعبان ١٤٤١ هـ، ذكرى ميلاد خاتم الأوصياء الحجة المنتظر المهدي بن الحسن عجل الله فرجه الشريف.

وقد تبادر إلى ذهني هذا الحوار المتخيل، الذي أحببت إشراككم فيه، وسيكون لسان حالي هو بعنوان: جواب، بينما سؤال السائل بعنوان سؤال:

سؤال: وأنت تريد طباعة هذا الكتاب.. هل جئت فيه بجديد؟ إن لم تأت بجديد فيه فما هي فائدة تكرار المعلومات القديمة؟

جواب: من يقول إنه لا بد أن يأتي الكاتب بجديد في كل ما يكتب؟ ولو التزم كل شخص بهذا هل يستطيع أحد أن يجرد قلمه للكتابة؟ فإنه لكي يعرف أن ما يأتي به هو الجديد لا بد أن يطالع كل الكتب المكتوبة حول هذا الموضوع لكي يجتنب ما هو غير جديد.

وهل هذا ممكن؟

على أنه قد يكون الجديد الذي أتى به بعض الأفكار، أو طريقة صياغة أفكار قديمة في عبارات وأسلوب مبتكر! أو ترتيبها بشكل خاص أو الاستدلال عليها بنحو جديد!

ثم إن هناك درجتين في الأفعال الحسنة؛ درجة: حق تقاته! ودرجة: فاتقوا الله ما استطعتم.. فإذا لم يتمكن الشخص من الأولى، فليأت بالثانية.

بل نسأل: هل هذا خاص بالكتابة أو بكل وسائل التبليغ والتوجيه؟ كالخطابة.. فإذا كان عاما لكل الوسائل فمعنى ذلك أن لا يتحدث متحدث في أي موضوع إلا ويكون قد علم بأن ما يأتي به جديد تماما! ومعنى هذا أن يتوقف الخطباء والموجهون بنسبة لا تقل عن ٩٠٪ منهم، ومن خطبهم! ومن المعلوم أن هذا من التوالي الفاسدة حيث يؤدي إلى خلو الساحة الاجتماعية تماما من التوجيه!

وإن كان خاصا بالكتابة، فما هو وجه الخصوصية؟

سؤال: لكن يتوقع منك ومن أمثالك شيء أكبر من هذا وأعظم!

جواب: لعل حسن ظن الناس يجعلهم يتوقعون ذلك! لكن هذا هو الموجود (هذا جنائي وخياره فيه) كما في المثل! ولا يكتب شيء إلا وكان يتوقع منه أفضل! لا سيما إذا كان حسن الظن به كبيرا! ولعل هذا هو الذي منع بعض الكتاب، من الكتابة. فذهبوا من هذه الدنيا؛ لا هم كتبوا بحسب ما يستطيعون! ولا تيسر لهم

الكتابة بحسب ما يتوقع الآخرون منهم! فأفلس المجتمع من الفائدة الممكنة، ولم يحصل على الفائدة المتوقعة، ولا الكاتب حصل على ثواب (ما استطعتم) ولا تمكن من (حق ثقافته)! فهل يُراد أن يصنع الجميع كذلك؟

سؤال: لكن إنفاق هذه الجهود، واتباعها صرف الأموال في مثل هذا قد لا يكون في محله!

جواب: نعم. من كان يعتقد أنها في غير محلها فلا ينبغي له أن ينفق ساعة فيها، ولا يصرف ريالاً في موضعها. وأما من كان يعتقد بفائدتها ونفعها فلا بد أن يفعل ذلك! لا سيما وأن لكل كاتب (أو خطيب) محيطه الذي يؤثر فيه، وقد لا يؤثر فيه غيره! لأسباب جغرافية أو بيانية في طريقته أو حتى شخصية حيث يتأثر بعض الناس بشخص أكثر مما يتأثرون بغيره.. وهذه الدائرة والمحيط من التأثير تنتظر إنتاج الشخص من خطاب وكتاب وغير ذلك، فينبغي أن يتحمل مسؤوليته في ذلك.

وبعد هذا الحوار المتخيل:

اعتقد أن من طرق الشيطان في منع الإنسان من العمل، إذا فشل في نهيه عن أصل العمل بشكل مباشر، أنه يطلب منه مواصفات استثنائية أو تعجيزية لا لأجل أن يأتي بها العامل، فلا يهم الشيطان ذلك، وإنما لكي يعجزه عن الاتيان بها.. فإذا كان يريد أن ينفق مقدار بسيطاً من المال شكك الشيطان في فائدته! واقترح عليه أن يجمعه عنده حتى يكون (شيئاً كثيراً)! فإذا أخره عن الخير

ففي التأخير آفات! ولكل حادث حديث! وإذا أراد أن يقوم أول الليل مثلاً للعبادة! (أقنعه) الشيطان أن وقت العبادة الأمثل هو قبل الفجر، وتركه لينام إلى أن تطلع الشمس!! وإذا أراد الكتابة وهذا لعله خاص بالكتاب والعلماء ومن يشابههم، (ألقى) الشيطان إليه فكرة (إما أن تكتب شيئاً يسوى أو لا تكتب شيئاً!!) وهكذا يجعله يلقي القلم من يده، والنتيجة أنه لا يكتب شيئاً!

لقد رأينا العلماء الذين خلفوا تراثاً من الكتابة والعلم، بدأوا من أوائل حياتهم بما ييسر لهم، ولذلك اختلفت كتاباتهم بين أول كتبهم وآخرها، ولولا أنهم بدأوا لما انتهوا إلى كتاباتهم المعتمدة، ولذلك أنصح اخوتي العلماء والخطباء ومن يشاكلهم إلى المبادرة في أن يخلفوا بعدهم (ورقة علم) تكون نافعة لهم في أخراهم، ومفيدة لمن يقرأها بعدهم.

وهذه الصفحات التي بين يديك أخي القارئ أختي القارئة هي من نماذج (فاتقوا الله ما استطعتم) ولعلها تأتي بجديد أو لا تأتي، لكنني أرجو منها الثواب والأجر، هي بمثابة وسيلة تقرب لمن كتبت حول بعض شؤونه، إمام زماننا وولي عصرنا الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف.. أسأل الله أن يجعل فيها الأجر لمن شارك من الإخوة والأخوات في تحريرها، ولوالدي ولأهلي ولمن يقرأها..

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف

١١ / شعبان / ١٤٤١

تاروت القطيف

الإمام المهدي في سطور تعريفية

اسمه:

الإمام محمد بن الحسن عليه السلام.

كنيته:

أبو القاسم (وهي نفس كنية رسول الله). وفي الذاكرة الشعبية الشيعية (أبو صالح).

والده ونسبه:

الإمام الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي

السجاد بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

جده لأمه:

رسول الله ﷺ حيث أنه من التاسع من ولد الحسين وأمه فاطمة بنت النبي.

والدته:

السيدة نرجس من نسل شمعون وصي النبي موسى (عليه السلام).

تاريخ ولادته:

١٥ شعبان سنة ٢٥٥ هـ

صفاته:

ورد في الروايات صفات كثيرة له:

في مصادر مدرسة الخلفاء:

(المهدي مني أجلى الجبهة أفتى الأنف)^(١)، (أنه فتى من قریش

(١) الفتن لنعيم بن حماد ٢٢٥/١ عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ، وقد ورد في وصف رسول الله ﷺ أنه أجلى الجبين (واسع الجبين) سبل الهدى والرشاد في

آدم^(١) ضرب من الرجال)، (رجل أبيض اللون، مشرب بالحمرة^(٢))، مبدح البطن، عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكين، بظهره شامتان شامة على لون جلده وشامة على شبه شامة النبي.. وأن الله قد أعطاه قوة أربعين رجلاً..) (إن المهدي يشبه رسول الله في الخلق والخلق... وأنه سيظهر شاباً دون الأربعين). (وجهه كالقمر الدرّي، اللون لون عربي، والجسم جسم اسرائيلي)^(٣).

في مصادر الإمامية:

- (ذاك المشرب حمرة، الغائر العينين، المشرف الحاجبين،

سيرة خير العباد ٢/ ٢١ كما ورد أيضاً في صفاته ﷺ أنه أفنى الأنف وأفنى العينين / التعريف بنبي الرحمة ﷺ وسلم ١/ ١٢ وهو طوله ورقّة أرنبته، مع حدّب في وسطه. (١) آدم يعني أسمى، وضرب من الرجال خَفِيفُ اللَّحْمِ غَيْرُ غَلِيظٍ وَلَا ثَقِيلٍ، وَبِذَلِكَ يُوصَفُ كُلُّ خَفِيفِ الْجِسْمِ ذَكَيِّ الْقَلْبِ مِنَ الرِّجَالِ (تهذيب الآثار مسند ابن عباس ١/ ٤٦٣) وقد يكون معادلاً لما يعبر عنه اليوم بالجسم الرياضي ومتوسط الجسم فلا هو لائح بدين ولا هو هزيل.. وقد وصف نبي الله موسى ﷺ (أَنَّهُ ضَرَبُ مَنْ الرِّجَالِ). وَهُوَ (الْخَفِيفُ اللَّحْمِ) الممشوقهُ المُسْتَدَقُّ. كما جاء في تاج العروس ٣/ ٢٤٣.

(٢) ليفرقوا بينه وبين الأبيض الخالص تماماً مثل اللبن، وبذلك يفترض أنه يتساوى مع ما ورد من أن (لونه عربي) أو أنه (آدم أي أسمى)، إلا أن يقال إن الأدمة لا تجتمع مع البياض.

(٣) الصواعق المحرقة ٢/ ٤٧٥ ناقلا عن الطبراني واعتبره الألباني من الموضوعات في كتابه سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٠/ ٢١١.

العريض ما بين المنكبين، برأسه حراز، وبوجهه أثر^(١). (إنه رجل أجلى الجين، أقنى الأنف ضخم البطن^(٢)، أزيل الفخذين^(٣)، أفلج الثنايا، بفخذه اليمنى شامة)^(٤).

- (أبيض اللون، مشرب بالحمرة، مبدح^(٥) البطن عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان، شامة على لون جلده وشامة على شبه شامة النبي ﷺ).^(٦)

(إن المهدي إذا خرج كان في سن الشيوخ ومنظر الشبان، قوياً في

(١) عن الإمام محمد بن علي الباقر ﷺ؛ كتاب الغيبة للنعماني / ٢٢٤.

(٢) هنا يختلف الوصف عما ورد في شأن رسول الله ﷺ من أنه (سواء البطن والصدر) وسيتم التأكيد على هذه الصفة في نص آخر جاء فيه أنه (مبدح البطن).

(٣) أزيل الفخذين: المتباعد بينهما.. غريب الحديث لابن قتيبة ١١٧/٢، وقد يكون هذا الوصف قريباً مما يلاحظ في بدن الرياضيين من التباعد على أثر نمو عضلات الفخذين، وبذلك يتناسب مع ما ورد في نص آخر من أنه (عريض الفخذين). وأبلج (أفلج) الثنايا: أبلج يعني براق، وأفلج يعني متفرق الأسنان، وقد ورد كلا الوصفين في شأن رسول الله ﷺ

(٤) الغيبة/ للنعماني. ٢٢١

(٥) كمال الدين ١/٦٨١ إلا أن المحشي قد كتب بانه واسع البطن وعريضه، وهو لا ينسجم مع ما ذكر في أحاديث آخر من أن صدره وبطنه سواء، ولم أعثر على معنى مناسب للكلمة هنا، وهذا التعبير أيضاً جاء في رواية نقلها الشيخ الصدوق في كمال الدين ١/ ١٦٤ في صفة النبي صالح وغيبته، وجاء أيضاً في نفس الرواية أنه خميص البطن!! وهما كما يظهر لا تتسجمان وبالرغم من محاولة المحشي على الكتاب رفع التنافي بين العبارتين إلا أن المحاولة لم تكن موفقة.

(٦) كمال الدين / ٦٨١، عن أمير المؤمنين ﷺ.

بدنه، حتى لو مد يده إلى أعظم شجرة في الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها..^(١) ويظهر في صورة شاب موفق ابن اثنين وثلاثين سنة.

(١) كمال الدين ٣٨٥ / عن الإمام علي الرضا. ﷺ

الإمام المهدي من الميلاد إلى الظهور

١. الوالدة المكرمة والمولد الشريف:

يتفق الإمامية على أن ميلاد الإمام محمد بن الحسن وهو المهدي المنتظر كان يوم النصف من شهر شعبان^(١) سنة ٢٥٥ هـ. ولكن هناك

.....
(١) يرى شيعة أهل البيت لما جاء عن أئمتهم عليهم السلام أن ليلة النصف من شهر شعبان فضلاً كبيراً، بل يرونها ثانية ليلة القدر، ويقومون بإحيائها عبر أعمال عبادية من الصلاة والدعاء والزيارة كما هو مفصل في كتب الأدعية عندهم.

وأما أتباع مدرسة الخلفاء فباستثناء التوجه السلفي خصوصاً والحنبلي عموماً والمتأثرين بذلك، والذين لا يرون لها فضلاً بل يعدون تخصيصها بأعمال عبادية هو من البدع، يهتم أتباع سائر المذاهب بليلة النصف ويرون لها فضلاً خاصاً ويروون عن النبي صلى الله عليه وآله أحاديث تفيد إن الله يطلع في هذه الليلة على أهل الأرض فيغفر لهم إلا لفئات عاصية خاصة، ويردون تضعيف بعض هذه الأحاديث بأنها في مجموعها يقوي بعضها بعضاً لا سيما وأنها وردت في فضائل الأعمال وهي لا يشترط في أسانيدها ما يشترط في غيرها، وألف بعض فقهاءهم كتباً في فضيلتها والأعمال التي تستحب فيها.. ولمن أراد التفصيل يراجع أقوالهم.

اختلافًا في تشخيص هوية والدته المكرمة، وربما يكون هذا أيضًا عائدًا لجهة السرية والخفاء التي ستحيط بكل مسألة الإمام (عليه السلام) بدءًا من ساعة مولده ومرورًا بوالدته وطفولته المبكرة وانتهاء بشخصه إلى حين غيبته! بل حتى على تحريم ذكر اسمه في بعض الفترات التاريخية. هذه الجهة ستؤثر أيضًا على اسم والدته من هي؟ هل هي نرجس، أو سوسن، أو صقيل، أو حديث، أو مليكة؟ أو غير ذلك. لقد كان الخفاء والإخفاء مقصودًا وليس طبيعيًا.

إلا أن المشهور بين الإمامية أن اسم والدته المكرمة هو نرجس.

وبالنسبة إلى تحديد شخصيتها: فإنه توجد نظريتان:

الأولى: تنتهي إلى أنها بنت ملك الروم وأنها سبيت أو اختفت من جيش الروم الذي خرج لقتال المسلمين في تلك الفترة، وحين عرضت للشراء، كلف الإمام الحسن العسكري أحد شيعته وهو راوي الرواية، ويسمى بشر بن سليمان النخاس، وهو بحسب الرواية من أحفاد أبي أيوب الأنصاري صاحب النبي (صلى الله عليه وآله)، ويسوق رواية طويلة تنتهي إلى أن يشتري هذه الجارية، فتدخل في بيت الإمام العسكري وبالتالي تلد له ولده الوحيد محمد بن الحسن (المهدي).^(١)

(١) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: كمال الدين وتمام النعمة/ ٤٢٣ ومحمد بن جرير الطبري (الشيعة دلائل الإمامة/ ٤٩٦).

والنظرية الأخرى: تنتهي إلى أن نرجس هي جارية نوبية كانت لدى حكيمة بنت الإمام محمد الجواد، وأخت الإمام الهادي (عليه السلام) وولدت في بيتها وتربت على الإسلام، وحين بلغت مبلغ النكاح، وهبتها بأمر الإمام الهادي، لابن أخيها الإمام الحسن العسكري بعدما علمت رغبته فيها، وعلمه بأنها ستلد المولود المبارك الذي سيظهر الأرض من الفساد والجور..^(١)

والعجيب أن الشيخ الصدوق رحمه الله قد نقل الروایتين في كتابه كمال الدين، لكنه لم يتصد لحل الاختلاف الموجود بين مؤداهما، فبينما تتحدث الأولى عن جارية رومية وأنها أسرت (أو هربت) من جيش الروم إلى جيش المسلمين، حتى اشتراها بشر النخاس بأمر الإمام العسكري، تتحدث الثانية عن أنها كانت جارية السيدة حكيمة وأنها تربت في منزلها وأن حكيمة هي التي وهبتها إياه!

وهكذا الكثير ممن نقل بعده عنه الروایتين، فلم يشر هؤلاء إلى الاختلاف الموجود بين الروایتين.

وقد ضعّف الشهيد الصدر الثاني الرواية الأولى، قائلاً: «ان هذا الحديث ضعيف من ناحية اثباته التاريخي، باعتبار كونه مجهول الرواة ضعيف السند».^(٢)

(١) المصدر نفسه ص ٤٢٧.

(٢) الصدر؛ السيد محمد تاريخ: الغيبة الصغرى ١/ ٢٥٦.

بينما علق على الرواية الثانية ويظهر أنه قبلها في الاجمال بقوله:
 «هذه الرواية تتفق مع سابقتها على عدة خصائص، منها: ان أم
 المهدي ﷺ كانت جارية مملوكة، وان اسمها نرجس وان زواج
 الإمام العسكري كان في حياة أبيه وإذنه. ولذا نستطيع ان نعتبر
 اتفاقهما على ذلك إثباتاً تاريخياً كافياً له. إلا أن هذه الرواية تعين
 وقوع الزواج في الأيام الأخيرة من حياة الإمام الهادي ﷺ. ولم يكن
 هذا واضحاً من الرواية السابقة»^(١).

وأما المرحوم السيد كاظم القزويني فعكس الأمر، فإنه بعدما
 رأى أنه لا يمكن الجمع بين الروایتين، استبعد الاعتماد على الرواية
 الثانية، ورأى أن الاعتماد على الأولى أولى وأنسب.^(٢)

وقد رأيت كتاباً للباحث المعاصر الشيخ أحمد سلمان بعنوان
 «سيدة الإمام» بحث فيه هذه المسألة بحثاً ضافياً، وانتهى إلى نتيجة
 تصحيح الرواية الثانية دون الأولى، ورأى أن الرواية الأولى التي
 تنتهي إلى قصة بشر النخاس وقضية السبي من جيش الروم،
 يحتوي سندها على مجاهيل مع إرسال فيه، كما أن الشخص المذكور
 فيها (بطل القصة) بشر النخاس الذي هو من أحفاد أبي أيوب

(١) المصدر نفسه ٢٦٠

(٢) القزويني؛ السيد محمد كاظم: الإمام المهدي ﷺ من المهد إلى الظهور ص ١٣٤
 قال: بعد هذا فإن هذا الحديث الثاني مروي عن محمد بن عبد الله المطهري أو
 الطهوي، وهو مجهول، ومعنى ذلك ان هذا الخبر ضعيف، والاعتماد على الحديث
 الأول أولى وأنسب.

الأنصاري، لا ذكر له في التاريخ. بل إن المؤرخين ينفون وجود عقب لأبي أيوب الانصاري. كما أن الراوي المباشر عنه وهو محمد بن بحر الشيباني الرهني وصف عند الرجالين بأوصاف تنتهي إلى غلوه وعدم الدقة في أخباره.

كما ذكر بأن الحوادث المذكورة في الخبر لا تتطابق مع الحوادث التاريخية.^(١)

ويظهر أن ما ذكر في الكتابين (تاريخ الغيبة الصغرى، وسيدة الإمام) من تقوية الرواية الثانية هو الأقرب للقبول. وأنها أي أم الإمام المهدي كانت جارية نوبية تربت في بيت السيدة حكيمة بنت الإمام محمد الجواد عليه السلام.

ونحن نفترض أن زواج الإمام العسكري عليه السلام بها، كان في سنة ٢٥٤ هـ، وكان عمره الشريف حينها بحدود ٢٣ سنة، بناء على أن ولادته كانت سنة ٢٣١ هـ.

٢. ولادة استثنائية وتعامل استثنائي:

لم يقتصر التعامل الاستثنائي في ولادة الإمام المهدي عليه السلام على خفاء شخصية والدته المكرمة فقط، وإنما بالإضافة إلى ذلك كان في طريقة الإعلان عنه، فبينما يستحب أن يعق عن المولود بكبش

(١) أحمد سلمان: سيدة الإمام من ص ٣٢ إلى ص ٤٨.

كما نقل أن النبي ﷺ عَقَّ عن الحسن بكبش وعن الحسين ﷺ بآخر. فإننا نجد أن عقيقة الإمام العسكري عن ابنه المهدي بلغت مئات العقائق، وتم إرسال بعضها إلى بيوت الأصحاب والموالين في سامراء معها خبر ولادة المهدي وأن هذه عقيقته، وكذلك أمر العسكري ﷺ لمن وصلت إليه تلك العقائق بالأكل منها وإخبار الناس بعد إطعامهم أو إيصال اللحم لهم، بأن هذه من عقيقة ولده المهدي.

فبقدر ما كان الأمر مكتومًا وسريًا عن الخلفاء العباسيين ومحيطهم الاجتماعي، كان واضحًا جليًا عند الشيعة في سامراء.

وقد سلك الإمام العسكري ﷺ في تثبيت ولادة ابنه عند الشيعة طرقًا متعددة، فأخبر^(١) قسمًا منهم بالرسائل^(٢) والكتب، وأمر وكلاءه وبني هاشم بشراء الأغنام وذبحها عقيقة عنه وتوزيعها^(٣)

(١) الصدوق: كمال الدين / ٤٦٢ عن حمزة بن أبي الفتح قال: جاءني يوما فقال لي: البشارة ولد البارحة في الدار مولود لأبي محمد عليه السّلام.

(٢) الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ١٠١/٥ عن أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي قال: لما ولد الخلف الصالح عليه السّلام ورد من مولانا أبي محمد الحسن بن علي عليهما السّلام على يدي أحمد بن إسحاق كتاب وإذا فيه مكتوب بخط يده عليه السّلام الذي كان ترد به التوقيعات. ولد المولود فليكن عندك مستورا، وعن جميع الناس مكتوما، فإننا لم نظهره إلا للأقرب لقربته، والمولى لولايته أحببنا إعلامك ليسرك الله كما سرّنا والسّلام.

(٣) الصدوق: كمال الدين / ٤٦٢: عن محمد بن إبراهيم الكوفي أن أبا محمد عليه السّلام

في الشيعة، وجاء به وعرضه على أصحابه^(١) متفرقين ومجتمعين^(٢) ليشهدوا أنهم رأوه عندما يسألون عن ذلك؟

وسياقي الحديث في صفحات قادمة على أنه بنفس المقدار الذي كان فيه الإمام حريصاً على إخبار شيعته بولادة ابنه والذي سيكون الإمام التالي، كان أكثر حرصاً على حمايته من عيون السلطة العباسية التي جندت قوتها لمعرفة مكانه والقضاء عليه لما علموه من أن الإمام الثاني عشر هو الذي يقلع الفساد ويقضي عليه، وهم يعلمون بلا شك بمقدار الفساد الذي كانوا عليه، والجور الذي يمارسونه.

٣. وإذا تنكرت السلطات العباسية لوجود الإمام المهدي

في ذلك الوقت وكان هذا أمراً متوقعاً لما كانوا يعتقدونه من تهديده لفسادهم، فإن تنكر أتباع الاتجاه الأموي من علماء مدرسة الخلفاء، كان ملفتاً للنظر! فإنهم لم يدركوه ومع ذلك حاولوا اغتيال

بعث إلى بعض من سمّاه بشاة مذبوحة وقال: هذه من عقيقة ابني محمد عليه السلام.

(١) الحر العاملي: إثبات الهداة ٥/ ١٠٠ عن أبي غانم الخادم قال: ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسّمه محمّداً فعرضه على أصحابه يوم الثالث وقال: هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم وهو القائم الذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، وإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملاًها قسّطاً وعدلاً.

(٢) الصدوق: كمال الدين/ ٤٦٢: عن أبي غانم الخادم قال: ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسّمه محمّداً فعرضه على أصحابه يوم الثالث وقال: هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم وهو القائم الذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، وإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملاًها قسّطاً وعدلاً.

شخصيته! ولم يعاصروه ومع ذلك حاولوا مطاردته وإبعاده عن وجدان المسلمين! فانظر إلى ما يقوله صاحب منهاج السنة «الحسن بن علي العسكري لم ينسل، ولم يعقب، كما ذكر ذلك محمد بن جرير الطبري، وعبد الباقي بن قانع، وغيرهما من أهل العلم بالنسب؟».

وهم يقولون: إنه دخل السرداب بعد موت أبيه، وعمره إما سستان، وإما ثلاث، وإما خمس، وإما نحو ذلك، ومثل هذا بنص القرآن يتيم يجب أن يحفظ له ماله حتى يؤنس منه الرشد، ويحضنه من يستحق حضائنه من أقربائه، فإذا صار له سبع سنين أمر بالطهارة، والصلاة، فمن لا توضأ، ولا صلى، وهو تحت حجر وليه في نفسه، وماله بنص القرآن لو كان موجودا يشهده العيان لما جاز أن يكون هو إمام أهل الإيمان، فكيف إذا كان معدوماً، أو مفقوداً مع طول هذه الغيبة؟»^(١)

ولنا هنا معه وقفتان ؛ الأولى مع الفقرة الأولى من كلامه، والثانية مع الثانية.

أما الأولى: فإن ابن تيمية يختار من ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ما يناسبه ويكذبه في ما لا يناسبه فما هذا الانتقاء ؟ إنه يرد حديث أنا مدينة العلم مع أن ابن جرير هذا قد أخرجه في كتبه. بل إنه لا يقبل مروياته التي تتعارض مع عقائده، لكنه هنا يتمسك

(١) ابن تيمية؛ أحمد بن عبد الحليم: منهاج السنة النبوية ١/ ١٢٢.

بكلامه؟ فما معنى هذا الانتقاء؟ وكيف صار كلامه حجة في مقابل عشرات الأقوال الأخر من النسابة وأهل التاريخ وأقارب الحسن العسكري من أهل البيت؟

وأما ابن قانع (ت ٣٥١هـ) الذي تأيد به ابن تيمية وأتكا عليه في نفي ولادة الإمام المهدي، فيكفي في أمره ما ذكر عنه من خطئه واختلاطه (خرّفه) وإصراره على الخطأ.^(١)

وأما وقفنا الثانية مع كلمته الثانية: وهي شنشنة عرفها من أخزم! قوله: أن هذا بنص القرآن يتيم يجب أن يحفظ له ماله حتى يؤنس منه الرشد، ويحضنه من يستحق حضانته من أقبائه، فإذا صار له سبع سنين أمر بالطهارة، والصلاة، فمن لا تواضاً، ولا صلى، وهو تحت حجر وليه في نفسه، وماله بنص القرآن.. إلى آخر كلامه. فجوابه: أنه هل ينطبق هذا على الإمام المهدي فقط أو على الأنبياء والرسل أيضاً؟ فماذا يصنع هذا في عيسى بن مريم النبي الذي تحدث عنه القرآن بقوله ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ

(١) الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء: في ترجمته، قال البرقاني: البغداديون يوثقونه، وهو عندي ضعيف. وقال الدارقطني: كان يحفظ، ولكنه بخطئ ويصر. وروى الخطيب عن الأزهرى، عن أبي الحسن بن الفرات، قال: كان ابن قانع قد حدث به اختلاط قبل موته بنحو من ستين، فتركنا السماع منه، وسمع منه قوم في اختلاطه.

حَيًّا^(١)، إنه نفس المنطق اليهودي الذي كذب بنوة عيسى باعتبار أنه في المهد صبي، فكيف يبلغ الكتاب وكيف يصلي وكيف يزكي؟ وإنه يجب على هذا المنطق أن ينصب عليه ولي! ومثله يحيى بن زكريا النبي ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٢) فكيف صار هنا جائزاً ومن لوازم الإيمان بالقرآن الاعتقاد به؟ بينما هو هناك مرفوض؟ إذا كان الأمر من الله سبحانه فلا يضر كما قال أحد أصحاب الإمام الرضا عليه السلام أن يكون ابن يوم واحد! وإن لم يكن من الله سبحانه فلا ينفعه أن يكون ابن مائة سنة!

وإذا كان هذا تمسك بقشة ابن قانع أو بابن جرير لنفي ولادته فهلا أنصت لما يزيد عن مئتي شخص^(٣) من معاصري الإمام ممن رآه رأي العين في مواضع مختلفة، وهم من مناطق كثيرة كمصر واليمن والدينور وقم وقزوين والأهواز وبغداد واصفهان والكوفة

(١) مريم: ٣١-٢٩.

(٢) مريم: ١٢.

(٣) العميدي؛ ثامر هاشم: دفاع عن الكافي ١/ ٥٦٢: ذكر أسماء معاصري الإمامين العسكري والحجة المهدي الذين وردت الرواية منهم وعنهم بأنه رأوا الإمام المهدي عليه السلام، بحسب الترتيب الألفبائي وأشار إلى مصادر تلك الروايات، فبلغوا كأشخاص ٧٩ شخصا، مع ملاحظة أن بعض هؤلاء قد رأوه في ضمن مجموعة كأن يكون معهم أربعون شخصا كما في بعض الروايات، وفي بعضها الآخر ثلاثون، وفي ثلاثة في جملة أصحابه، بل نقل في كتابه عن الشيخ أبي طالب التجليل التبريزي أنهم يزيدون عن ثلاثمائة.

وغيرها^(١) وهل يتواطأ هؤلاء كلهم على الكذب؟

الطريف في الأمر أن أحدهم يستدل بقول الآخر على نفي ولادته، فابن تيمية يعتمد على ابن جرير وابن قانع ثم يأتي الزركلي فيعتمد على ابن تيمية، وهكذا. وأما ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) فلا يحتاج إلى أن يعتمد على أحد بل يجزم بأن الحسن مات من غير عقب وكأنه كان شاهد موته! ويجزم في موضع آخر «أن المهدي لم يخلق قطّ»^(٢) وكأنّ ملفات من خلق ومن لم يُخلق لا بد أن تمر عليه حتى يوقّعها! فهو يعرف من خلق ومن لم يخلق!

٤. شهادة العارفين بالأنساب والمؤرخين :

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من إخبار الإمام الحسن العسكري أصحابه بولادة ابنه الإمام المهدي، وإرساله العقائق عنه لمواليه في سامراء، وعرضه على أصحابه المأمونين خلال السنوات الست ما بين ولادته عجل الله فرجه، وشهادة الإمام العسكري عليه السلام، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً فقد سجل المؤرخون وأهل المعرفة بالأنساب ولادة

(١) تتبع العلامة العميدي في كتابه أسماء الأشخاص الذين يتمون إلى هذه المناطق في كتابه دفاع عن الكافي ج ١/ ٥٦٣.

(٢) الأندلسي الظاهري؛ علي بن أحمد بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٣٨/٤ «وبقول طائفة منهم أن مولد هذا الذي لم يخلق قطّ في سنة ستين ومائتين سنة موت أبيه!» أقول: لم نعرف أحدا في التاريخ قال بأن مولد الإمام كان في سنة ٢٦٠ هـ!.

محمد بن الحسن المهدي لأبيه العسكري، بغض النظر عن إيمانهم وعدم إيمانهم بانطباق مواصفات المهدي عليه. فبينما كان أتباع الاتجاه المعادي لأهل البيت ينفون ولادة مولود للإمام العسكري عليه السلام، حتى أن بعضهم افترى من عنده قولاً بأن الحسن العسكري كان عقيماً! إلا أن علماء مدرسة الخلفاء الباقيين قد أثبتوا أن الحسن العسكري قد ولد له مولود اسمه محمد، وإن لم يكونوا يعتقدون بأنه هو المهدي وعبر بعضهم عن ذلك بالقول وهو الذي تعتقد الرافضة أنه المهدي! لكنهم أثبتوا على كل حال تلك الولادة.

وقد ألف الشيخ مهدي الفقيه الايماني كتاباً بعنوان المهدي المنتظر في نهج البلاغة ذكر فيه «أسماء أكثر من مائة عالم من علماء أهل السنة الذين اعترفوا بولادة الإمام المهدي ﷺ وأثبتوا نسبه، كما اعترفوا بغيبته ﷺ، مورداً في ذلك كله أسماء كتبهم التي صرحوا فيها بذلك»^(١) وقد استدرك عليه آخرون ما فاتته، ورتب العميدي كتابه الآنف الذكر^(٢) أسماء هؤلاء المؤلفين على القرون من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر الهجري مع استدراكاته فبلغ العدد ١٢٨ مؤلفاً وكتاباً مع الإشارة لكتبهم التي ذكروا فيها ولادة المهدي.

وأما من الإمامية فلما كان الاعتقاد بولادته جزءاً من إيمانهم بإمامة الأئمة فلا يمكن حصر القائلين بذلك.

(١) مجلة تراثنا - مؤسسة آل البيت - ج ٢٨ - الصفحة ٢٤٩.

(٢) العميدي: دفاع عن الكافي ١/ ٥٩٢.

ومن العجيب بعد ذلك أن يكذب بها قوم!

إننا نجد ضمن الضوابط الدينية أن اعتراف شخص بولادة مولود له هو مقبول شرعاً، ما لم يُعلم بمخالفة ذلك للإقرار للواقع. وضمن نفس الضوابط فإن شهادة البينة (شاهدين عادلين) على ذلك كافٍ في الثبوت وترتيب الآثار الشرعية، والشياع المفيد للاطمئنان كسابقه. فلماذا تعطلت هذه الضوابط هنا؟ ولم يقبلها أولئك (العلماء) لو كانوا كذلك؟ بالترتيب الذي ذكرناه فإن إقرار الإمام المتكرر والمقصود في الكثير من المواطن أن هذا هو ابنه! وإن وجود العشرات من البينات على ذلك، بل والشياع الذي كان في زمان الإمام (مع حراجة الموقف السياسي) فضلاً عن الشياع في القرون التالية إلى زماننا، كل ذلك فيه حجة وبرهان ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(١).

٥. متى اضطلع بأمر الإمامة:

مع شهادة الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ مسموماً بتخطيط السلطة العباسية، كما ذكرنا في كتاب سيرة الإمام العسكري، اضطلع الإمام المهدي بأمر الإمامة، ومع أن الوضع كما ذكرنا قبل قليل كان في غاية الاحتقان حيث عبأت السلطة العباسية كل قوتها للقبض على ابن العسكري، وكان لا بد

أن يختفي الإمام عليه السلام إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يظهر في بعض الحالات لأتباعه أو للقيام بأمر لا بد منه ثم يختفي مباشرة، إما ضمن الحالة الطبيعية أو بالتقدير الإلهي لكيلا يقبض عليه ويقتل. ومن أوائل ظهوره ما كان في جنازة أبيه العسكري، حيث منع عمه (جعفر الكذاب) من الصلاة على أبيه وتولى هو ذلك.^(١)

كذلك فإنه ولكي يفسد على جعفر (الكذاب) خطته في السيطرة على الإمامة والاستفادة من حالة الغياب القيادي التي خلفتها شهادة الامام العسكري وعدم تصدي إمام ظاهر معلن على النحو الذي كان عليه الإمام العسكري وآباؤه، فقد استقبل بنحو خاص جماعة ممن جاؤوا ومعهم بعض أموال الخمس والاستفتاءات الشرعية، وبعد أن رفضوا تسليم ما لديهم من الأمانات لجعفر الكذاب الذي رأوا منه عدم المعرفة بشؤون الإمامة ومتطلباتها، فقبل أن يرجعوا إلى بلادهم استقبلهم الإمام (عليه السلام) وعرفهم نفسه وأجاب على أسئلتهم وأخبرهم عما معهم من الأموال ومن الذي أرسلها تماماً مثلما كان يفعل أبوه الإمام العسكري.^(٢)

٦. صغر سن الإمام:

(١) الصدوق: كمال الدين ٥٠٥ «فلما صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن علي صلوات الله عليه على نعشه مكفناً فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه، فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تغليج، فجذب برداء جعفر بن علي وقال: تأخر يا عم فأنا أحق بالصلاة على أبي، فتأخر جعفر، وقد أربد وجهه واصفر..»

(٢) المصدر نفسه ٤٧٦.

لم تشكل إمامة الإمام المهدي في صغر سنه مشكلة عويصة للشيعة في هذه المرحلة فإن معاشتهم للإمام الجواد عليه السلام أولاً وإمامته في سن مبكرة (٨ أو ٩) سنوات وإقرار الجميع بتفوقه على الجميع في فهم القرآن والأحكام، ومع عقدتهم المجالس المتعددة له إلا أنه أظهر جهلهم وعلمه، وقصورهم وكماله. حتى أذعن له راضين أو راغمين وحتى قال فيه المأمون العباسي ما قال.^(١)

وهكذا الحال في شأن الإمام الهادي عليه السلام حيث تولى الإمامة أيضاً في نحو ذلك العمر (ولد سنة ٢١٢ وتولى الإمامة ٢٢٠ هـ) وبالتالي فقد تجاوز الشيعة هذه المسألة منذ نحو ستين سنة، فلم يعد السؤال مكرراً.

نعم كان المتغير الجديد هو غيبة الإمام بحيث لا يستطيع الشيعة اللقاء به ساعة يشاؤون وفي كل يوم، كما كان يصنعون ذلك مع آبائه.

ولهذا وجدنا أن الإمام المهدي عليه السلام لم يتصد للإمامة بشكل ظاهري وبنحو عام وأمام الجميع، وإنما بالنحو الذي ذكرناه في الفقرة السابقة من أنه كان قد يظهر أحياناً لاستقبال جماعة بنحو خاص أو في قضية جنازة والده والصلاة عليه، وأما الظهور العام والعلني فلم يكن موجوداً.

(١) للتفصيل يمكن مراجعة كتابنا: الأعظم بركة؛ الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام.

وقد تم التمهيد لمثل هذه المرحلة في أيام أبيه العسكري بل وأحيانا أيام جده الهادي عليه السلام، بأمور:

منها: التأكيد على دور الوكلاء والنواب في مناطقهم، بحيث تم اختيار وكلاء مهمين في المناطق الأساسية، وتم ارجاع الموالين لهم في جميع الأمور (من شرعية ومالية وغيرها) ومنع الأئمة من تجاوز أولئك الوكلاء والنواب. وقد تعرضنا لهذا النظام والوصايا المتعلقة به في كتابنا (نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الإمامية) كما ذكرنا شيئاً عن هؤلاء الوكلاء في كتابنا (النقي الناصح: الإمام علي بن محمد الهادي) فليراجع.

بالتأكيد على الوكلاء والذين سيتحول بعضهم في أيام الإمام المهدي إلى نواب خاصين وسفراء بل أبواب للإمام، سيتعود الشيعة على التعامل مع الإمام بصورة غير مباشرة بل من خلال وكلائه. وهذا سيؤدي من جهة إلى ارتفاع مستوى المجتمع الشيعي إلى مرحلة سيكون عليه التعامل فيما بعد مع النواب العامين ومراجع التقليد في ظل الغيبة الكبرى. كما سيمنع أي محاولة للتسلل لمعرفة مكان الإمام أو إيراد الضرر عليه، ما دام التعامل يتم مع الوكيل الوسيط من دون رؤية الإمام نفسه.

ومنها: غياب الإمام العسكري بل وأبيه الإمام الهادي عليه السلام عن الناس لبعض الفترات، سواء تلك التي كان يغيب الإمام فيها عن شيعته من خلال سجنه كما حصل لهما عليهما السلام، أو من خلال

فرض المراقبة على منزله بحيث يفصل عن الناس ويكون من الصعب عليهم الوصول إليه، بل ربما من خلال بعض الاحتجاب الاختياري، وأمر أصحابه أن لا يسلموا عليه إن وجدوه في مكان أو يسألوه عما أهمهم!

هذان الأمران تمت ممارستهما أيام الإمامين العسكريين (عليه السلام)، وبعضها قبل ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ولذلك لما وصلنا إلى مرحلته كانت الأمور ممهدة في هذا الجانب، فنظام الوكلاء مرتب وقوانينه سارية، ولذلك وجدنا أن قسما من وكلائه هم أنفسهم وكلاء أبيه وربما جده.

وقضية الاحتجاب والغيبة جرّبها شيعته في زمان أبيه وجده..

ومنها: وهو ما أضيف في زمانه (عليه السلام) وتم اعتماده بشكل واسع، هو التوجيه من خلال التوقيعات، فإنه وإن كان أبأوه (عليه السلام) قد استعملوا المكاتبة مع أتباعهم، وإرسال الأجوبة إليهم مكتوبة إذا وصلتهم أسألتهما مكتوبة، إلا أننا نلاحظ أنه في زمان الإمام المهدي قد تم استعمال التوقيعات واعتمادها بشكل واسع جدا. ومن خلالها كان يقوم (عليه السلام) بتوجيه شيعته، والاستجابة لمتطلباتهم الشخصية والدينية وغيرها. وقد تتبع المرحوم الشيخ التجليل التبريزي في كتابه (من هو المهدي)^(١) عناوين تلك التوقيعات، فجاء بنحو سبعين من

(١) التبريزي؛ أبو طالب التجليل: من هو المهدي ٥٣٤.

التوقعات التي وردت في الكتب المختلفة.

لذلك نعتقد أن غيبة الإمام من بعد شهادة والده لم تصنع خللاً كبيراً في الوضع الشيعي، حتى مع انحراف البعض ودعواتهم الباطلة وهو الأمر الذي كان يحدث مع بعض الأئمة السابقين ومع ذلك لم يتهتك النسيج الشيعي أو يحدث انهيار في المذهب.

٧. الثاني عشر مشكلة المذاهب وحلُّ الإمامية:

يتفق المسلمون على تصحيح حديث عن النبي ﷺ ومضمونه «أن الدين لا يزال قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة»^(١) وقد ورد هذا بتعابير مختلفة ولكنها تنتهي إلى قيام الدين واستمراره وأن هناك اثنا عشر خليفة أو إماماً وأنهم من قریش!

وقد أخرج هذا الحديث المحققين المنصفين من مدرسة الخلفاء، وإن كان لم يؤثر في الحشوية وأتباع الخط الأموي، في تطبيقه على

(١) ابن حنبل؛ أحمد: مسند أحمد ٤/٣٠٩ عن «جابر بن سمرة السوائي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول في حجة الوداع: «إن هذا الدين لن يزال ظاهراً على من ناواه، لا يضره مخالف، ولا مفارق، حتى يمضي من أمتي اثنا عشر خليفة»، قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قریش».

وفي بعض هذه الأحاديث أنه حدث ضوضاء وكلام، وأن الجملة الأخيرة خفيت على بعض من حضر، وقد تساءل بعض الباحثين عن المبرر لحصول هذه الضوضاء، فهل هو نفسه الذي جعل البعض يمنع النبي من كتابة كتاب لن يضلوا من بعده، ولا سيما أن ظروف هذا الحديث هو حجة الوداع وفيها نزلت آية إكمال الدين وفي آخرها كانت قضية الغدير.

الواقع، فمن هم أولئك الخلفاء الاثنا عشر؟ حتى قال السيوطي بأنه لم يقع وجود اثني عشر اجتمعت عليهم الأمة!^(١)

فمنهم من قال: إن هؤلاء هم الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز وبعض بني العباس ومنهم المهدي العباسي، كما عن ابن كثير.^(٢) بينما قال القاضي الدمشقي: أنهم الخلفاء الأربعة ومعاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة وعمر بن عبد العزيز.^(٣) وأما ابن قيم الجوزية فرأى أنهم الخلفاء الأربعة ومعاوية ويزيد وابنه معاوية بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم ابنه عبد الملك ثم اثنين من أبنائه (الوليد وسليمان) لا الأربعة ثم عمر بن عبد العزيز.^(٤) وأما المقرئ فقال: إنهم الخلفاء الأربعة ثم الإمام الحسن ولم يذكر أحدا من بني أمية ولا بني العباس..

وأنت ترى عزيزي القارئ مقدار الاختلاف الكبير أولاً في تعيين هؤلاء، وثانياً في التخيّل في اختيار بعض تلك الأسماء فهل يمكن أن يقال أن يزيد بن معاوية الذي ارتكب ما ارتكب، هو مما يقوم به الدين وينهض؟ وأنه من الخلفاء الذين لا يضرهم مخالفة من خالفهم؟

(١) السيوطي؛ جلال الدين: الحاوي للفتاوي ١٠٢/٢.

(٢) العميدي: دفاع عن الكافي ٥٣٨/١.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) نفس المصدر / ٥٣٩.

وهل كان النبي ﷺ شديد الاهتمام بهذا الموضوع لكي يبشر بمجيء يزيد بن معاوية أو مروان بن الحكم أو معاوية؟ وهل تراه غفل عن الرؤيا والشجرة الملعونة المفسرة ببني أمية؟

ثم هؤلاء يوقفون الأمر في تطبيقه إلى نهاية زمان بني أمية.. فهل كان النبي يعتقد أن دين الإسلام ماض وقائم إلى هذا الزمان ثم ينتهي؟ وعشرات الأسئلة الأخر التي تخرج مدرسة الخلفاء فلا يستطيعون توجيهها وتفسيرها.

وبقدر ما كان هذا الحديث محل إحراج لمدرسة الخلفاء، فقد كان قيام الإمام المهدي بعد أبيه العسكري بأعباء الإمامة ثم غيبته وبقاؤه على قيد الحياة إلى أن يأذن الله، برهان صدق للإمامية الإثني عشرية. فالإمامية لديهم اثنا عشر خليفة للنبي ﷺ في علمه ودوره، واثنا عشر إمامًا معينين من قبل الله ﷻ، أخبر عنهم النبي في أحاديث كثيرة^(١) وتم تعريفهم بأسمائهم وأسماء آبائهم بل وبأسماء أمهاتهم^(٢) قبل ميلاد أكثرهم، وقد برهنوا للناس بما بينوه لهم صدق ما وصفوا به، وكان آخر هؤلاء الاثني عشر هو الإمام محمد بن الحسن العسكري (وهو المهدي). وعلى ما ذكرنا اتفاق الإمامية بلا استثناء. وغيبة الإمام تأتي في ضمن هذا السياق فهو قد ولد ولا يزال حيًا، وهو الثاني عشر من الأئمة ومن ولد فاطمة ﷺ وعلي أمير المؤمنين ﷺ.

(١) للتعرف على تلك الأحاديث عن المعصومين راجع كتاب كفاية الأثر للخزاز القمي.

(٢) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٠٥ حديث جابر بن عبد الله عن فاطمة الزهراء ﷺ.

٨. هل يمكن رؤيته في الغيبة الكبرى؟

بما تقدم في فقرة (٤) تم ذكر شيء عن رؤية الإمام محمد المهدي ﷺ من قبل أصحاب أبيه، وكان ذلك مقصوداً لترسيخ حقيقة ولادة الإمام (ومن العجيب أنه بالرغم من كل ذلك فقد أنكر بعض الكتاب والمؤلفين ولادته كما ذكرنا بعض أقوالهم سابقاً).

وسأتي في مواضيع قادمة بحث عن دور الإمام ﷺ في الغيبة الصغرى وفيه حديث عن سفرائه الأربعة واتصال الناس به من خلال هؤلاء. وفي هذه الفترة (الغيبة الصغرى) التي استمرت (من سنة ٢٦٠ إلى ٣٢٩ هـ) التقى الإمام ﷺ ببعض شيعته. بل «إن المشاهدين للمهدي ﷺ خلال غيبته الصغرى، أكثر بنسبة مهمة عنهم في غيبته الكبرى».^(١)

وكان من الطبيعي بالنسبة لمن يؤمن بولادته ﷺ أن يؤمن بلقاءاته بشيعته بشكل واسع أو محدود. إذ لا يوجد عائق في ذلك.

لكن السؤال المثار هو: هل يمكن رؤيته في الغيبة الكبرى التي بدأت منذ سنة ٣٢٩ هـ والممتدة إلى أيامنا هذه؟ وهل رآه أحد من شيعته خلال هذه المدة؟ وهل أن من تحدثوا عن رؤيتهم للإمام هم متيقنون من ذلك؟ لا سيما وأنهم لا يعرفون الإمام معرفة شخصية. فما يدرينا عن أن الذي رآه فلان هو الإمام؟ إن من يقول رأيت

(١) الصدر، محمد صادق: تاريخ الغيبة الكبرى ١٠/٢.

فلانا يقتضي أن يكون عارفاً من قبل بشكله وشخصه والمفروض أن هؤلاء لا يعرفون الإمام معرفة شخصية! فإذاً لا نستطيع أن نطمئن لادعاء الرؤية.

والجواب يكون في نقاط:

الأولى: إنه قد ألف علماء الشيعة^(١) كتباً ضمنوها قصص مؤمنين وعلماء التقوا بالإمام عليه السلام وتعرفوا بواسطة قرائن نشير إليها لاحقاً إلى أن هذا الشخص هو الإمام المهدي. وهذه القصص بمجموعها الذي هو بالمئات، وفي مناطق كثيرة وأزمنة متعددة، وكثير منها بأسانيدھا تفيد العلم العادي بحصول هذا الشيء.^(٢)

(١) القزويني؛ السيد محمد كاظم: الإمام المهدي (ع) من المهد إلى الظهور ٣٠٣: وقد ذكر الشيخ المجلسي رحمه الله تعالى - أسماء جماعة من الذين تشرفوا بقاء الإمام في أيام الغيبة الكبرى، في كتاب بحار الأنوار ١٥١ / ٥٢. كما ذكر الشيخ النوري في كتاب النجم الثاقب مائة قصة عن الذين ساعدتهم الحظ ففازوا بقاءه عليه السلام ثم انتخب منها ثمان وخمسين قصة وحكاية، وذكرها في كتاب جنّة المأوى.

وقد ألف علماؤنا القدامى والمعاصرون كتباً مستقلة حول الذين تشرفوا بقاء المهدي عليه السلام، مثل: كتاب تبصرة الولي، فمن رأى القائم المهدي للسيد هاشم البحراني، وتذكرة الطالب، فيمن رأى الإمام الغائب، ودار السلام، فيمن فاز بسلام الإمام للشيخ محمود الميشي العراقي، وبدائع الكلام فيمن اجتمع بالإمام للسيد جمال الدين محمد بن الحسين اليزدي الطباطبائي، والبهجة فيمن فاز بقاء الحجة للميرزا محمد تقي الألماسي الأصفهاني، والعقري الحسان في تواريخ صاحب الزمان للشيخ علي أكبر النهاوندي.

(٢) الصافي الكلبايگاني؛ الشيخ لطف الله: منتخب الأثر في أحوال الإمام الثاني عشر (عج ٢ / ٥٦٢ «واعلم أن ما ذكرناه في هذا الفصل ليس إلا قليلاً من الحكايات

هذا الاقتضاء بل الوقوع مع انتفاء المانع من ذلك فإنَّ «الأعداء إن حالوا بينه ﷺ وبين الظهور على وجه التصرف والتدبير، فلم يحولوا بينه وبين لقاء مَنْ شاء من أوليائه على سبيل الاختصاص وهو يعتقد طاعته ويفترض اتّباع أوامره ويحكمه في نفسه» كما قال الشيخ الطوسي^(١).

الثانية: إن قسماً كبيراً ممن ذكر أنه رأى الإمام ﷺ هم نخبة المؤمنين في عصورهم وصفوة العلماء في أيامهم، وهؤلاء لا يتوهم في حقهم الكذب حتماً، بل ولا التوهم والتخيل لقوة عقلياتهم وسمو أنفسهم. فإنه قد يكون القائل الذي يدعي الرؤية من ضعاف العقول أو كثيري التوهمات والتخيلات، فيحتمل في حقه أن يرسم صورة خيالية ويسقطها على من يراه.

لكن إذا أخبر عن ذلك مثل العلامة الحلي (ت ٧٢٨هـ) أو المقدس المولى الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ) أو السيد بحر العلوم الطباطبائي (ت ١٢١٢هـ)^(٢) ونظرائهم فإننا لا نكاد نشك في ذلك

والآثار المذكورة في الكتب المعتمدة... مضافاً إلى أن الآثار والحكايات بلغت من الكثرة حدّاً يمتنع إحصاؤها... هذه الحكايات التي لا ريب في صحّة كثير منها لقوة إسنادها وكون ناقليها من الخواصّ والرجال المعروفين بالصدق والأمانة والعلم والتقوى يحصل له العلم القطعي الضروري بوجوده ﷺ^(٣).

(١) الطوسي؛ محمد بن الحسن شيخ الطائفة: الغيبة/ ١٢٦.

(٢) قد تحدثنا عن شخصيات هؤلاء العلماء الفحول وغيرهم في كتابنا: من أعلام الإمامية فليراجع.

أصلاً. لا سيما مع انضمام القرائن الآتي ذكرها.

الثالثة: إن أكثر هذه القصص والحوادث التي تفيد بمجموعها كما ذكر علماً واطمئناً، وتحقق درجة من التواتر المعنوي والاجمالي وهو يكفي هنا، هي محتفة بقرائن تجعل الرؤية لا تنطبق على غير الإمام المعصوم وهو في زماننا المهدي المنتظر ﷺ. فمنها ما اقترن بمعرفة حاجة الرائي من دون أن ينطق بها، ومن المعلوم أن هذا ليس في قدرة البشر العاديين. ومن تلك القصص ما اقترن بإجابة الحاجة فوراً ومن دون توسط أدوات أو معالجات. ومنها تحقق ما كان معدوداً في الممتنعات لولا يد الغيب التي لا يستطيعها سوى المأذون من الله سبحانه وليس سوى الإمام المهدي.

وإذا قيل إنه ربما يكون ذلك الشخص ولياً من الأولياء أو بدلاً من الأبدال، فإنه يجاب على ذلك: كيف صار الأمر عادياً وطبيعياً مع ذلك الولي ومنفياً مع سيد الأولياء وخاتم الأوصياء؟

الرابعة: إن بعضها يقترن بإخبار المرئي بأنه هو الإمام، ويقع في قلب الرائي التصديق والخضوع التام لهذا الإخبار، ومن المعلوم أن تصديق القلب وقبوله في كثير من الأحيان يفيد نفس فائدة العلم من الاطمئنان والسكون، خصوصاً مع ما عرفه هؤلاء من الصفات المذكورة للإمام ﷺ في الأحاديث فلم يبق إلا تطبيقها على من هو أمامه. ونحن نرى أن هذه هي طريقة عقلائية للتعرف على الشخصيات، وكلما كانت الأوصاف أدق وأكثر كان التعرف على

الشخصية أسهل وأسرع. لا سيما في المناطق والأزمنة التي لا يوجد فيها التصوير، لعل هذه الطريقة تكون هي الطريقة الشائعة. بأن يأخذ الإنسان وصف الشخص المراد لقاءه ومقابلته ثم يذهب ويطبقها على من تكون عليه فيتعرف عليه.

ثم إن الإشكال الذي ذكر في أول الفقرة من أن هؤلاء الرائيين لا يعرفون الإمام من قبل، فكيف يثبتون أنه هو نفسه، هذا الإشكال يجري بالنسبة للأنبياء والأوصياء أيضاً! فكيف عرف اليهود^(١) أن محمداً بن عبد الله هو النبي المبعوث؟ لولا أنهم قرأوا صفاته في الكتب ثم طبقوها فما وجدوها تنطبق إلا عليه صلوات الله عليه.

ونفس هذا الكلام يجري في ما بعد الظهور فإن أكثر الناس لم يسبق لهم أنهم رأوه فكيف يعرفونه؟ إنما ذلك بتطبيق ما يعرفونه من الصفات وهداية القلب إليه.

الخامسة: إنه قد يتصور وجود دليل يمنع من رؤية الإمام في زمان الغيبة الكبرى قبل الظهور النهائي، بالاستناد إلى ما ورد من توقيعه ﷺ لسفيره الرابع من أنه «وسياأتي من شيعتي مَنْ يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كاذبٌ مُفترٍ»^(٢).

(١) قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَكْثَرُ عِلْمًا بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ البقرة: ١٤٦.

(٢) الطوسي: الغيبة/ ٤٢٣

ولكن هذا التوقيع الثابت عنه،^(١) بملاحظة القرائن الحافة به ولا سيما الزمانية حيث نشطت دعاوى السفارة والنيابة الخاصة وكان الكثير يطمع فيها، بل نازعوا السفراء الحقيقيين بادعاءاتهم، ولا تزال الأيام حبلً بهؤلاء الأدعياء، يتكاثرون كالأمميا بالانقسام، وقد ذكرنا شيئاً قليلاً عنهم في فصل الدعوات المهدوية الكاذبة.

هذا التوقيع غير ناظر إلى رؤية الأتقياء والعلماء والعباد له ﷺ، حيث يلتمسون منه البركة وقضاء الحوائج وإنما هو ناظر إلى من يدعي الوساطة بين المهدي وبين الناس، ويزعم النيابة الخاصة عنه، ويفتري على الناس في أن ما يأتي به هو من عند الإمام مشافهة، تلبساً على الناس وطلباً للرئاسة والزعامة.

وإلا فما المشكلة في أن يراه عالم فاضل أو عابد قانت؟ وما هي الميزة لأهل زمان الغيبة الصغرى حتى رآه الكثيرون بينما حرم من ذلك أهل زمان الغيبة الكبرى؟

خاصة بناء على أن غيبته ليست غيبة الشخص وإنما غيبة العنوان وسيأتي الكلام عنها فيما بعد. بل إن هذه الرؤية وقضاء الحوائج وتناقلها بين الناس ولو بعد موت الرائي مما يقوي إيمان المؤمنين

(١) قد ناقش الشيخ رياض الأسدي في مقالته المفيدة: إمكان رؤية الإمام المهدي ﷺ في الغيبة الكبرى المنشورة في موقع مركز الدراسات التخصصية في المهدي هذا التوقيع بمناقشات موسعة ونقل آراء العلماء فيه وفي توجيهه ويمكن لمن أراد التفصيل الرجوع إليه. www.m-mahdi.com/main/articles-799

به ﷺ، ويعطيهم مزيداً من الأمل، ويثبت عقيدتهم به، وقد يكون هذا من أنحاء اللطف بأتباعه وشيعته.

ومن القرائن على ذلك التعبير بكلمتي (كاذبٌ مفترٍ) فلو كان الأمر راجعاً إلى أن شخصاً ما قد اشتبه ورأى شخصاً ظنه الإمام المهدي ولم يكن ذلك الشخص الإمام المهدي ثم أخبر عن هذه الرؤية، فإنه لا يخاطب عادة بأنه كاذب يفترى، وإنما يقال عنه بأنه خاطئ أو مشتبّه! لكن عندما ينضم إلى ذلك ادعاء النيابة الخاصة والسفارة الخاصة فإنه سينقل أحكاماً مع كونه في ذلك متعمداً الكذب ومفترياً على الإمام، وسيطلب من الناس مطالب وهو فيها متعمد للكذب فيستحق مثل هذا التوصيف.

٩. لماذا لم يظهر حتى الآن؟ ومتى تراه يظهر؟

يسأل المؤمنون بتحرق وشوق وألم هذا السؤال، إذ كلما رأى هؤلاء ما أحاط بالإسلام وأهله بل ما أحاط بالإنسان من كوارث ومصائب تألموا وتعجلوا وعد الله وتساءلوا عن السبب الذي يجعله يتأخر عن الظهور والتغيير كما قد يتساءلون عن الوقت والزمان.. فهل هم في عصر الظهور؟

وبمقدار ألم المؤمنين وتحرق المحبين للقاء إمامهم وشعورهم بعظم الفاجعة المحيطة بالبشرية على أثر تأخره ﷺ، فإن المشككين يرقصون فرحاً ويتمايلون طرباً لهذه الجهة، ولسان حالهم لو كان

لظهر؟ ولو كان له واقع خرج! وحتى لو أدى بهم ذلك في النتيجة إلى تكذيب الأحاديث النبوية المتواترة بشأنه.

وللجواب على ما تقدم، نشير إلى النقاط التالية:

أولاً: إن أول عنصر من عناصر الإيمان هو الاعتقاد بالغيب، وليس من قبيل المصادفة أن أول صفة ذكرت للمتقين الذين يكون الكتاب هدى لهم، أنهم الذين يؤمنون بالغيب.^(١) فلو لا هذا لما أمكن للإنسان أن يؤمن بالله تعالى وهو غيب الغيوب، ولا يؤمن بالجنة والنار إذ هما غيب. ولا أمكن أن يؤمن بالموت الذي هو غيب^(٢) ولا برزقه يوم غد وهكذا. فالإنسان يعيش مغموساً بالغيب متفاعلاً معه ولا يستطيع الانفصال عنه، حتى لو أنكره ظاهراً.

وقضية الإمام المهدي هي من تلك الأمور الغيبية التي ينبغي التعامل معها بقوانينها الخاصة. فإن بعض الأمور العادية المخفية يمكن التوصل إليها والتعرف عليها بشكل مباشر وحسي، لكن في الأمر الغيبي يتعذر ذلك.

إن قضية الإمام المهدي وغيبته وظهوره وسائر شؤونه قد

(١) قوله تعالى في سورة البقرة ٢ و ٣ ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

(٢) قوله تعالى في سورة لقمان: ٣٤ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

ذكرت قبل ولادته ﷺ بنحو قرنين ونصف من الزمان على لسان رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ثم المعصومين من أبنائه بما أشرنا إليه في مواضع آخر من هذا الكتاب.

ولكن بقي موضوع متى؟ ولماذا؟ لم يذكر. بل حتى حين كان البعض يسأل هذين السؤالين لا يحصلان إلا على جواب أنه يجب على المؤمن التسليم! وأنه من يوقت فهو غير صادق في توقيته ذلك! وأما أحد النماذج من تعامل الأئمة ﷺ مع هذه الأسئلة وأمثالها: وهو ما نقله الشيخ الصدوق في كتابه كمال الدين وتمام النعمة؛ وعيون أخبار الرضا عن أبي الصلت الهروي قال سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول لما أنشدت مولاي الرضا ﷺ قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات
فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج
يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل
ويجزى على النعماء والنقمات

بكى الرضا ﷺ بكاءً شديداً ثم رفع رأسه إلي فقال لي: يا خزاعي

نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين فهل تدري من هذا
الامام؟ ومتى يقوم؟

فقلت: لا يا سيدي إلا إني سمعت بخروج إمام منكم يطهر
الأرض من الفساد ويملؤها عدلاً فقال: يا دعبل الإمام بعدي
محمد ابني وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن
ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره لو لم يبق من الدنيا
إلا يومٌ واحدٌ لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما
ملئت جوراً وظلماً.

وأما متى؟ فأخبراً عن الوقت ولقد حدثني أبي عن أبيه عن
آبائه عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم
من ذريتك؟ فقال: مثله مثل الساعة ﴿لَا يُجْلِيهَا لَوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾^(١).

ونلاحظ في هذا الحديث المعتبر أن العقيدة بالإمام المهدي كانت
شائعة ودعبل يقول سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض، كما
أن النقاش والسؤال عن خروج القائم الذي هو من ذرية رسول
الله من زمان النبي صلى الله عليه وآله أي قبل قرنين من زمن الرواية هذه، وقرنين
ونصف قبل ولادة الإمام المهدي.

كما أن هذا المعنى يتناقله الأئمة عليهم السلام واحداً بعد الآخر فالرضا

ينقله عن أبيه الكاظم والكاظم عن الصادق وهكذا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، مما يفيد شدة اهتمامهم بهذه القضية.

وقد قرر الإمام (عليه السلام) أن ظهور المهدي وخروجه قضية غيبية تماماً لا تخضع لمقاييس البشر، وشبهها بالساعة التي لا يعلم غير الخالق موعدها.

ثانياً: ما يُرى في بعض الروايات وما يذكر بتبعه في التوجيهات الأخلاقية من أن تأخر ظهوره راجع إلى كثرة الذنوب أو إلى تفرق أتباعه وتشتت آرائهم أو لعدم اكتمال الأنصار، فهو صحيح بمعنى الاستفادة من هذا في التوجيه الأخلاقي لكنه ليس إجابة نهائية على السؤال المذكور.

ولعل هذا يشبه ما فعله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أحدهم عندما سأله عن الساعة وأنها متى تكون، فحول النبي هذا السؤال بمنحى أخلاقي نافع له وقال له: ماذا أعددت لها؟، فرد عليه الإعرابي: حب الله ورسوله! فقال له الرسول: أنت مع من أحببت.^(١)

وإلا فإن الجواب الحقيقي هو ما قاله الإمام الرضا (عليه السلام) لدعبل من أن الوقت هو كالساعة لا يجليها لوقتها إلا الله.

(١) الطبراني؛ سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط ١/ ٤٠ جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله عن الساعة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ماذا أعددت لها؟» قال: حب الله ورسوله قال: «فأنت مع من أحببت».

هذا على أن التوقيت بمعنى تحديد وقت معين معلوم هو خلاف الحكمة بحسب الظاهر، فلو حدد النبي مثلاً ظهور المهدي في سنة ٢٠٠٠ للهجرة فماذا سيحصل؟ سينام الظالمون والجبارون على حرير الاطمئنان والراحة إلى ما قبل هذا التاريخ ويزيدون المؤمنين أسوأ أنواع العذاب من غير خشية، بينما سيأس المؤمنون من ظهور العدل والفرج كذلك ما دام هذا التاريخ لم يصل بعد، وسيكون التعلق بإمامهم والتحرق لتعجل خروجه ونهوضه بلا معنى!

لذلك نعتقد أن الإجابات عن سؤال متى ولماذا، ليست حقيقية وإنما قد يقصد منها التوجيه الأخلاقي ونحوه، وإلا فإن الجواب الحقيقي هو أننا لا نعلم لأنها قضية غيبية صرفة.

وبدلاً من التفتيش عن إجابة لن تكون حاضرة بنحو حقيقي، فإن الأحسن للمؤمن أن يسعى وراء تقوية علاقته مع إمامه الحجة المهدي ثم لا يضره بعد ذلك أن لا يكون حاضراً وقت ظهوره، كما ورد في روايات متعددة، منها ما رواه الفضيل بن يسار في الحديث المعتبر: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو قائم مع القائم في فسطاطه».^(١)

(١) (النعماني؛ ابن أبي زينب: الغيبة / ٣٥٢).

وفي تقوية العلاقة يمكن أن تذكر خطوات قد وضعها وحث عليها أئمة الهدى عليهم السلام، والعجيب أن ذلك حصل قبل أن يولد الإمام المهدي عليه السلام، فمنها: ^(١)

أ. قراءة الأدعية التي نُزِلت منزلة مبايعة الإمام عليه السلام؛ مثل دعاء العهد الذي يستحب قراءته بعد صلاة الفجر والذي ورد أن من قرأه أربعين صباحاً كتب من أنصار صاحب الزمان، وربما سمي بدعاء العهد لأن في نهايات الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَجِدُّكَ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِي هَذَا وَمَا عِشْتُ مِنْ أَيَّامِي عَهْداً وَعَقْداً وَبَيْعَةً لَهُ فِي عُنُقِي». ^(٢)

ب. وكذلك دعاء الندبة والذي هو بمثابة دورة تثقيفية شاملة تستعرض النبوات والأنبياء ومعاناتهم، ثم ما حدث في الأمة الإسلامية من انقلاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وبرنامجه في تولية أمير المؤمنين عليه السلام، ولا ينسى الدعاء أن يمر بعشرات الأحاديث المعتبرة عن النبي المصطفى في فضائل ومناقب الوصي المرتضى ثم التضحيات التي قدمها أبناؤه الطاهرون إلى أن يصل لنقطة الأوج والصعود في التحرق والتشوق والبكاء على أثر حرمان الداعي من رؤية الإمام المهدي حتى وقت قراءة الدعاء وأمنيته في أن

(١) لتفصيل تلك الآداب ننصح بمطالعة كتاب المرحوم الشيخ حسين الكوراني: آداب عصر الغيبة.

(٢) ابن طاووس الحسني؛ علي بن موسى: مصباح الزائر/ ٤٥٥.

يشهد الظهور الإلهي والنصر الرباني بحضور الإمام (عليه السلام).
وسياتي ذكر شيء عن هذا الدعاء واستهدافاته في صفحات
قادمة.

ج . الدعاء للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بالحفظ والرعاية
الإلهية، وأشهر الأدعية المستحبة في ذلك هو الدعاء الذي يستحب
قراءته في أعمال ليلة ٢٣ من شهر رمضان وهي إحدى ليلتين
يرجى أن تكون ليلة القدر، وقد ورد في الرواية^(١) أنه يستحب أن
يقرأ هذا الدعاء طول ليلته قائماً وقاعداً وهو: (اللهم كن لوليك
الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي
كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه
أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً).

ومن أدعية طلب الحفظ للإمام: دعاء الإمام السجاد (عليه السلام)
ويستحب قراءته ليلة عرفة.^(٢) والملفت للنظر أن الإمام السجاد

(١) الكليني؛ محمد بن يعقوب: الكافي ١٦٢/٤ - محمد بن عيسى بإسناده عن
الصالحين قال: تكرر في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان هذا الدعاء ساجداً
وقائماً وقاعداً وعلى كل حال وفي الشهر كله وكيف أمكنك ومتى حضرك من دهرك
تقول بعد تحميد الله تبارك وتعالى والصلاة على النبي ﷺ: «اللهم كن لوليك فلان
بن فلان في هذه الساعة، وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وناصراً ودليلاً وقائداً وعوناً
(وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً)»

(٢) تعرضنا له ولشرح بعض مفرداته في كتابنا: سيد العابدين؛ الإمام علي بن الحسين
بن علي (عليه السلام).

الذي كانت شهادته قبل ميلاد الإمام المهدي بقرن ونصف من الزمان يدعو الله لصاحب العصر والزمان الإمام المهدي بشكل مفصل بأن يحميه ويصح بدنه ويعينه على أعدائه.

د. الإكثار من الصلاة عليه وعلى آبائه الطاهرين: وقد وردت صلاة خاصة عن أبيه العسكري يعلم فيها شيعته المؤمنين به كيفية الصلاة عليه فيقول: «اللهم صل على وليك وابن أوليائك ولي الأمر المنتظر الحجة بن الحسن عليه السلام، اللهم صل على وليك وابن أوليائك الذين فرضت طاعتهم»^(١).

ومن ذلك التصديق عن الإمام عليه السلام، فقد جاء في بعض الروايات أنه إذا أردت السفر فتصدق بالنيابة عن صاحب العصر والزمان ليحفظك الله في سفرك، وكذلك إهداء الأعمال إليه سلام الله عليه والنيابة عنه، كالصلوات المستحبة والعمرة المستحبة، وتلاوة القرآن وغيرها من الأمور العبادية.

هـ. وينبغي أيضا إظهار الاحترام لذكر الإمام عليه السلام، ولا يكتفي بمجرد العلاقة القلبية، ونحن نحمد الله سبحانه على أن وفق شيعه آل محمد للقيام بهذه الأمور، ومنها إظهار الاحترام والتوقير، وقد اشتهر بينهم أنهم يضعون يدهم على رؤوسهم احتراما لذكر الإمام وكأنها تحية، بل وعندما يذكر باسم (القائم) ينهضون

(١) الكفعمي؛ الشيخ إبراهيم: البلد الأمين والدرع الحصين ٣٠٦.

قائمين^(١) في كثير من الأماكن والمجتمعات.

ولعلمهم أخذوا ذلك مما روي أن الأئمة عليهم السلام كانوا يصنعون ذلك، فقد روي أن الإمام الصادق عليه السلام سُئِلَ: «هل خرج الإمام الحجة؟»، فقال عليه السلام: كلا ولو أدركته لخدمته أيام حياتي^(٢)، وينقل عن الإمام الرضا عليه السلام أنه وضع يده على رأسه عندما ذكر عنده الإمام الحجة احتراماً له، وسواءً تم هذا النقل أو لم يتم فلا ريب في حسنه إذا كان تعبيراً عن الاحترام والتعظيم لذكر الإمام عليه السلام.

١٠. نقاط في الفتح المهدوي:

سنقتصر هنا على بعض النقاط التي نراها مهمة، ونصح من أراد التوسع بمراجعة المطولات ولعل من أحسنها تحليلاً وتفصيلاً كتاب تاريخ ما بعد الظهور للشهيد محمد صادق الصدر رحمه الله.

فأولاً: نعتقد أن ظهور الإمام المهدي والذي لا نعلم تاريخه وتوقيته سيترافق مع جملة من الحوادث الكونية الغيبية سيأتي الحديث عنها في ضمن العلامات، وستكون بنحو واضح يشهده

(١) الخوئي: السيد أبو القاسم: استفتاءات ٤٢١: في استفتاء للمرجع الديني المرحوم السيد الخوئي (باللغة الفارسية ما ترجمته: هل القيام عند سماع الاسم المقدس لصاحب العصر عليه السلام مستحب أو لا؟ فأجاب: هناك رواية واردة في هذا الباب والاثبات بذلك رجاء لا مانع منه.

(٢) النعماني: الغيبة / ٢٥٢ عن خلاد بن الصفار، قال: «سئل أبو عبد الله عليه السلام: هل ولد القائم؟ فقال: لا، ولو أدركته لخدمته أيام حياتي».

كل البشر وآية على حقانية تلك النهضة وربانية قائدها وأنه الإمام المهدي المنتظر الموعود. وذلك لأن جو المسلمين العام قد فسد هوأوه لكثرة أدعياء المهودية والنيابة والسفارة وما إلى ذلك.. ولأن هؤلاء كاذبون فقد انتهت ثقة الناس بمن يدعي هذا المنصب أو دونه! ولعل بعضهم يحصل له هذا حتى إذا ظهر المهدي ﷺ حقيقة. وربما كان بعضهم كان يهدف إلى تضعيف فكرة الانتظار والمهدي عند الناس، من الأساس.

لذا ولمقاومة هذا التشكيك وعدم الاكتراث الذي قد يحصل للبعض على أثر ما ذكرنا فقد جاءت الروايات الصريحة والكثيرة في العلامات الحتمية، وهي ذات جانب غيبي محض مثل حصول «الخسوف والكسوف: ويراد به حدوثهما بشكل يختلف عن الشكل الاعتيادي له. فبدلاً عن أن يحدث الكسوف في أول الشهر والخسوف في وسطه، كما هو المعتاد، فإن حدوثهما. سوف يكون بالعكس، فيحدث الكسوف في وسط الشهر والخسوف في أوله.. بشكل لم يسبق له نظير منذ أول البشرية إلى حين حدوثه». ^(١) ولا ريب أن الأمر غيبي تماماً إذ لو كان على المقاييس العادية لصار من السهل معرفة وقت خروجه إذ يستطيع علماء الفلك أن يعرفوا تاريخ حدوث هاتين الظاهرتين قبل حصوله فعلاً بمئات السنين، والفرض أن توقيت خروجه أيضاً هو غيبيٌّ تماماً.

(١) الصدر؛ السيد محمد صادق: تاريخ ما بعد الظهور ١١٧/٣.

وثانيًا: فإن قسمًا مما ورد في الروايات عن حركته عليها السلام وشعاراتها، ينبغي التأمل في دلالاته والتعمق في مقاصده، فمثلاً أنه يظهر في مكة المكرمة وينطلق من هناك وعند الركن والمقام، ففي هذا هو يشابه جده المصطفى الذي كانت انطلاقة دعوته من مكة، حيث الكعبة وبيت التوحيد الابراهيمي، ليقول إنها مسيرة واحدة من شيخ الأنبياء إبراهيم إلى خاتم الرسل المصطفى إلى آخر الأوصياء النجباء. أهدافهم واحدة ومنطلقاتهم كذلك. إن الروايات تنص على أنه يقف بين الركن والمقام ويكون ذلك في يوم عاشوراء. ويعتري للأنبياء فهو أولى الناس بهم، ويدعو الناس إلى متابعتة.

نرى هنا حضور ذكر الأنبياء وأولويته بهم من غيره، والزمان يذكر بشار الله وشهيد الإسلام أبي عبد الله الحسين بن علي (عليه السلام).

وكونه يذكر بالأنبياء لا ينبغي أن يفهم منه الفخر المجرد، وإنما وقبل ذلك وحدة المنهج، ومن خلال هذا نستطيع أن نردّ ما ورد في بعض الروايات مما ظاهره المخالفة مع منهج الأنبياء. فإذا جاءت رواية تنسب إليه أنه جاء بالقتل والذبح وأنه لا يطلب بينة ولا برهاناً أو أنه يقرر بطون الحوامل، أو أنه يقتل علماء الشيعة ويسفك دماء الآلاف منهم، فلا بد أن نقف من هذه الروايات موقف المنكر لها! كيف! وهي لا تتفق مع سيرة الأنبياء ولا سيما مع سيرة جده المصطفى هما إنما جاءا رحمة للعالمين! ولا تتفق مع الروايات الواصفة

لحركته وأهمها أنهمملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً؟ إن بعض ما مرّ هو عين الظلم والجور فكيف يعمله؟

ثالثاً: إن ما تذكره الروايات هي (علامات) والعلامة تختلف عن السبب والعلّة باختلافات كثيرة، منها أن العلامة لا بد أن تدل على شيء موجود وعلامته كذا، مثل أن علامة المدينة الفلانية هي الجبل الكذائي، حتى يهتدي الناس إلى المدينة بواسطة العلامة الظاهرة، فليس الجبل سبباً لوجود المدينة، وهكذا الحال في موضوعنا فإن هذه العلامات تدل على حقانية وجود ذي العلامة، وعلى أنه واقع، وأن وجوده ليست بسبب تلك العلامات، وإنما يظهر فيحتاج الخلق إلى علامة تدل عليه لا سيما مع كثرة الادعاءات الباطلة، فتأتي هذه العلامات تأييداً من الله له، وإرشاداً من الله لخلقه إلى وليه ولطفاً منه بهم حتى لا يتأخروا عنه!

بل فوق العلامات العامة هناك تصريح باسمه يصل إلى العالم حيث «يصيح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربي يُسمع من في السماوات والأرض يا معشر الخلائق هنا مهدي آل محمد قد خرج فاتبعوه ولا تحالفوا أمره».^(١)

وقد قسم العلماء روايات علامات الظهور إلى ما ورد بطريق معتبر، وما لم يثبت اعتبار طريقه؛ فمن الأولى: الصيحة بين السماء

(١) الحلي؛ حسن بن سليمان: مختصر بصائر الدرجات/ ١٨٧.

والأرض والتي يسمعونها الناس (ولعلها متعددة في جملها وعباراتها أو في أصلها) وحاصلها إعلام الناس أن الحق هو في آل محمد، وأن هذا هو المهدي الذي ينتظره الخلق، وقد جاء ذلك في روايات معتبرة منها: ما عن أبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام) «ينادي منادٍ باسم القائم (عليه السلام)! قلت: خاصٌّ أو عامٌّ؟ قال: عامٌّ يسمع كل قوم بلسانهم! قلت: فمن يخالف القائم وقد نودي باسمه؟ قلت: لا يدعهم ابليس حين ينادي ويشكك الناس».^(١)

وكذلك خروج السفيناني فبالإضافة إلى اشتهاؤه أمره في الروايات بحيث قل أن تخلو رواية تتحدث في العلامات من ذكره، ومن تلك الروايات وهي معتبرة أيضًا، بل في مضمونها إمضاء الإمام الصادق لما عن أبيه الباقر، وذلك ما رواه الثمالي، قال: قلت لأبي عبد الله: إن أبا جعفر الباقر كان يقول: إن خروج السفيناني من الأمر المحتوم. قال لي: نعم.

وقد جمعت رواية عمر بن حنظلة العلامات المحتومات، والتي وردت في روايات متفرقة معتبرة، حيث قال: «سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليمني والسفيناني والصيحة وقتل النفس الزكية والخسف بالبيداء».^(٢)

(١) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: كمال الدين وتمام النعمة ٦٨١.

(٢) هذا بالرغم من أن الرواية هذه فيها كلام لعدم تمامية الاعتماد على عمر بن حنظلة عند بعضهم.

رابعاً: نؤيد ما ذكره باحثون من أنه ينبغي النظر إلى شخصيات مرحلة ظهور الإمام (عليه السلام) (سواء الموالية له أو المعادية) ضمن الإطار الرمزي وما تريد أدائه من معانٍ، خصوصاً مع ملاحظة الزمان الذي قيلت فيه تلك الروايات، فإذا ورد فيها عنوان (الذجال)، أو (السفياي) وأمثالها، فلا ينبغي الذهاب وراء معرفة تفاصيل اسمه ونسبه بالدقة،^(١) فليس المهم الأساس صفاته الشخصية وإنما منهجه الباطل ودعوته المدمرة وأفعاله الفاسدة. وهذا بالطبع لا يعني أنه لا يوجد شخص باسم السفياي أو أنه وهمي!

وفائدة هذا الكلام أن على المؤمنين أن لا ينشغلوا بالخوض في التفاصيل عن التفكير في معارضة المنهج الباطل ومخالفته والذي ينتمي في بطلانه إلى ما يعرفه الناس من بني أمية تاريخياً. وكما أن خط الصلاح مستمر في الأمة من نبيها المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله) إلى خاتمهم محمد المهدي (عليه السلام)، فإن خط الفساد والجور مستمر فيها من أبي سفياي إلى السفياي مروراً بكل الحلقات الباطلة من تاريخهم، وتاريخ المؤيدين لمنهجهم بالعمل عليه. فاللازم على المؤمنين الحذر من منهج الخيانة والبغي والغدر والتساهل في الدين والظلم للعباد وغير ذلك مما ميّز الخط السفياي^(٢) الأموي.

(١) الصدوق: كمال الدين ٦٨١: عن عبد الله بن أبي منصور البجلي قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن اسم السفياي فقال: وما تصنع باسمه؟

(٢) بالطبع هذا لا يعني تبرئة الفرع المرواني في بني أمية، بل ولا الظلم العباسي من أيام المنصور إلى نهاية دولتهم. وإنما المقصود هو أنهم جميعاً يتبعون هذا الرمز الذي

خامسًا: كيف يقاتل أعداءه؟ فهل يستعمل الأسلحة المتطورة التي يستعملها أعداؤه من طائرات وبوارج ودبابات وما شابه؟ أو أنه يقاتل بالسيف كما جاء في الروايات وهل المقاتل بالسيف قادر على قتال من بيده المدفع؟ وما الأمر؟

قدم الباحثون عدة إجابات:

أولاهها: إنه يقاتل بأسلحة أكثر تطوراً مما هو لدى أعدائه، فيأخذ بالأسباب الطبيعية للانتصار فإذا كان لدى العدو أسلحة متطورة، فإن لديه أسلحة أكثر تطوراً. لكن لم يقدم القائلون بهذا إجابة على سؤال: من أين له ﷺ تلك الأسلحة؟ فإن كان حصولها بالطرق الطبيعية من تصنيع أو شراء فكيف؟ وإن كان بغير الطرق الطبيعية كإعمال ولايته التكوينية والجهات الإعجازية.. فقد رجع القائل عن ما ذهب إليه من الأسباب الطبيعية، إلى الوسائل الغيبية.

نعم تم تقديم إجابات أخرى في تبرير القول المذكور: مثل أن الإمام ﷺ لا يرد الناس إلى حالة متخلفة فلا محالة تكون أسلحته تبعا للتطور البشري. وقد وجهوا الروايات التي ورد فيها كلمة «يقاتل بالسيف» إلى أنها رمز للقوة وليس للسيف بما له من الخصوصية، أي لا موضوعية للسيف.

وربما يستشهد أصحاب هذه الإجابة بما ورد في بعض الروايات من «أن الإمام ينزل بالكوفة في سبع قباب بيض لا يعلم في أيها المهدي». (١)

وأيضاً ما جاء في وصف أسلحة أصحابه «لهم سيوف من حديد غير هذا الحديد لو ضرب احدهم بسيفه جبلاً لَقَدَّه حتى يفصله». (٢)

وثانيها: أنه يقاتل بالسيف الحقيقي، لا بالأسلحة المتطورة حملاً للروايات على ظاهرها، (٣) وقد أجابوا على عدم مكافأة السيف للأسلحة المتطورة وانهمام حامل السيف أمام حامل البندقية فضلاً عن الدبابة، بأن النهضة المهدوية لما كانت غيبية في أصلها وفي انتخاب قائدها وفي توقيتها فلا مانع من أن تكون وسائلها في القتال والانتصار أيضاً غيبية، وحينئذ لن تصمد القوة البشرية مهما كانت مسلحة بسلاح متطور أمام قوة تستند إلى من يقول للشيء كن فيكون، ولا سيما على القول بالولاية التكوينية للإمام المهدي.

والروايات في باب التأيد الغيبي له ﷺ كثيرة منها ما ورد من

(١) العياشي؛ محمد بن مسعود: تفسير العياشي ١/ ١١٠ قال أبو جعفر ﷺ في قول الله تعالى (فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ قَالَ: ينزل في سبع قباب من نور لا يعلم في أيها، هو حين ينزل في ظهر الكوفة فهذا حين ينزل.

(٢) الصفار؛ محمد بن الحسن بن فروخ: بصائر الدرجات ٥١٢.

(٣) الصدوق: كمال الدين ٣٥٧: وأما سنة من جدّه المصطفى محمد صلى الله عليه وآله فخروجه بالسيف، وقتله أعداء الله وأعداء رسوله والجبارين والطواغيت، وأنه ينصر بالسيف والرعب، وأنه لا تردّ له راية.

أنه «لو خرج قائم آل محمد لَنَصَرَهُ الله بالملائكة المسومين والمردفين والمنزلين والكروبيين، يكون جبرئيل أمامه وميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن يساره والرعب مسيره أمامه»^(١) وأنه «يؤيده الله بثلاث أجناد: الملائكة والمؤمنين والرعب»^(٢).

ثالثها: أن يقال أن السيف المذكور في الروايات ليس مطلق السيف وإنما هو سيف خاص وهو «ذو الفقار» الذي وهبه النبي المصطفى ﷺ لوصيه علي المرتضى ﷺ وتوارثه المعصومون واحدا بعد الآخر كأحد موارث النبوة، التي كانوا يحتجون بها على من ادعى أنه أقرب منهم للنبي وأولى به!

ويمكن لهؤلاء بعد ذلك أن يتمسكوا بما ورد في الروايات من أن أعداء المهدي يهلكون بالخسف في البيداء وهو أمر غيبي تماما، وبالرعب الذي يقذفه الله في القلوب. وما سبق في الفقرة السابقة من ان الملائكة بين يديه.

(١) النعماني: الغيبة / ٢٣٩

(٢) المصدر نفسه / ٢٠٤

هكذا تحدث المعصومون عن الإمام المهدي ﷺ

إن الأحاديث التي ذكرت في شأن الإمام المهدي ﷺ هي من الكثرة، بحيث تتجاوز التواتر بمختلف معانيه^(١) - لفظاً في بعضها، ومعنى في القسم الأكبر منها - وإجمالاً من ناحية الثالثة.

وقد ذكر بعض الباحثين عدداً من الروايات ولم يستوعبها كاملة، ومن ذكر قسماً منها: المرجع الديني الشيخ لطف الله الصافي في كتابه (منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر). حيث ذكر فيه

(١) صرح به العلامة الشوكاني - في كتابه (التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح) قال (يعني الشوكاني): «والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها: خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول.. وقد نقله عن كتاب الشوكاني غير واحد من المؤلفين، بل نُقل التواتر عن عدد من أعلام مدرسة الخلفاء، كما في كتاب المهدي المنتظر لعبد الله بن الصديق الحسني الادريسي».

(١٣٠٠) حديث في الإمام الحجة عليه السلام من مصادر مدرسة الخلفاء ومصادر شيعة أهل البيت عليهم السلام، بينما ذكر العلامة المحقق نجم الدين العسكري في كتابه حول المهدي عليه السلام قرابة (٤٠٠) حديث من كتاب مدرسة الخلفاء.

إن هذا المجموع من الأحاديث يبين أموراً مهمة في قضية الإمام المهدي عليه السلام:

١. إن عقيدة المهدي ليست عقيدة مقتصرة على الشيعة الإمامية أو عموم الشيعة؛ إنما هي عقيدة إسلامية يؤمن بها كل المسلمين.
٢. إن هذه الروايات بلغت من التواتر والكثرة جداً يستحيل معه التواطؤ على الكذب، فالروايات رواها الإمامي والسني والمدني والمكي والكوفي والبغدادي والمعتزلي والأشعري^(١) وأهل الحديث... وغيرهم من علماء القرن الأول والثاني والقرون المتأخرة.
٣. يضاف إلى ذلك تعدد مضامين الأحاديث وتكثر معانيها، فبعض هذه الروايات تتحدث عن نسب الإمام المهدي، وبعضها الآخر تتحدث عن صفاته الشخصية، وبعضها عن غيبته، وبعضها عن أيام ظهوره، وبعضها عن خريطة أيام الفتح، وبعضها عن أعدائه، وبعضها عن أنصاره وأعدائه وصفاتهم وأعدادهم.

(١) عد مؤلف كتاب المهدي المنتظر سابق الذكر، ثلاثين صحابياً ممن نقل عنه أحاديث المهدي. ص ١٢٠.

فهذا التنوع الكبير يعطي لهذه القضية تأكيداً تاماً في أنها ليست قضية عابرة أو جزئية.

ونحن لا نعرف قضية من قضايا الإسلام غير التوحيد-تم فيها هذا المقدار من الأحاديث والاهتمام، ومن تناولها بمختلف أنحاء التناول.

ومما يزيد أهميتها أن هذه الأحاديث جاءت في المصادر الرئيسية والأساسية في مدرسة الخلفاء: كمسند أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه والترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني والدارقطني... وغيرهم ممن دَوَّن أحاديث المهدي^(١).

ونود أن نشير إلى جوانب منها:

١. ما جاء في سنن أبي داود^(٢) وابن ماجه^(٣) ومستدرک الحاكم من حديث عن أم المؤمنين سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة).

(١) الطريف أن عدم ذكر البخاري ومسلم لأحاديث المهدي يدل أن يكون مضعفاً لفكرة المهدي والاعتقاد به، أصبح مما يعتذر به لهما من قبل علماء مدرسة الخلفاء، وذلك يدل على قوة الفكرة والتسليم بها، فهم يعتذرون عن ذلك بأن البخاري ومسلم لم يذكر كل الأحاديث الصحيحة ولم يستوعباها بالكامل!! هذا مع أن البخاري ذكر حديث أم سلمة الأتي في كتابه التاريخ الكبير.

(٢). ٢/٣١٠.

(٣). ٢/١٣٦٨.

وهذه الإشارة مهمة لكي يقطع النبي ﷺ الطريق على من ادعى المهدوية من غير ولد فاطمة، ويقطع أيضاً ما ادعاه العباسيون في حديث وضعوه عن لسان النبي ﷺ بأن المهدي من ولد عمه العباس. وفي ضوئه حاول أبو جعفر المنصور الذي كان اسمه عبد الله، بتسمية ابنه محمد المهدي، وينطبق على ما ورد في الروايات غير الصحيحة التي ذكرت بأن (المهدي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي) ليحدث تطابق مع ابن المنصور بكونه المهدي.

فالحديث النبوي السابق يقطع هذا الادعاء، الذي تطابق في لقبه؛ ولكن سيرته -أي ابن المنصور- وبداياته اختلفت، بالإضافة إلى إثبات النص أنه لا يمكن أن يكون من المهديين الطاهرين.

٢. عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي ﷺ في مسند أحمد بن حنبل^(١) في حديث: (المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة) أي يدبر الله أمره ويرتبه في ليلة.

٣. حديث عن أبي سعيد الخدري عليه السلام عن النبي ﷺ: (المهدي أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً).

فهذا بعض مما جاء في أحاديث مدرسة الخلفاء.

أما ما جاء في مصادر أهل البيت من روايات فكثير جداً، وقد

أورد الشيخ الصدوق عليه السلام في كتابه كمال الدين وتمام النعمة، أكثر من ١٤٠ حديثاً عن النبي عليه السلام والمعصومين بعده، تعرضت لإثبات عقيدة المهدي كإمام هو الثاني عشر من أهل بيت النبي، وتناولت شيئاً من صفاته، وقضايا غيبته، ومواقف الناس منها وغير ذلك من المواضيع المرتبطة به عليه السلام هذا بشكل مباشر وأما الأحاديث التي تعرضت له بشكل غير مباشر في سائر الأبواب من الكتاب فهي أضعاف هذا العدد، ونورد حديثاً عن كل معصوم مما جاء في ذلك الكتاب:

١. روي عن النبي عليه السلام: (لو لم يبق يوم من الدنيا إلا ساعة لطول تلك الساعة حتى يخرج رجل من ذريتي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)^(١).

ويلاحظ هنا في الحديث أن الأمر حتمي لا يقبل التردد والتشكيك إلى حد أنه لو تم تصور نهاية الدنيا، ولم يبق منها غير ساعة لكانت تلك الساعة بعد إطالتها هي مجال ظهوره، ونشر العدل على يده، وأن هذا الرجل ليس أي رجل وإنما هو (من ذريتي) وهذا مهم جداً فإن من الممكن أن يتسمى شخص باسم رسول الله بل ويتكنى بكنيته لكن لا يستطيع كل شخص أن يكون من ذرية رسول الله. فهذا الحديث بطبيعته ينفي كل ادعاء المهديوية

ممن لم يكونوا معروفين من ذرية النبي، ولن تكون ذريته إلا في بني فاطمة الزهراء عليها السلام.

٢. في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: (لِلْغَائِبِ مِنَّا غَيْبَةٌ أَمَدُهَا طَوِيلٌ، كَأَنِّي بِالشَّيْعَةِ يَجُولُونَ جَوْلَانِ النَّعَمِ فِي غَيْبَتِهِ يَطْلُبُونَ الْمُرْعَى فَلَا يَجِدُونَهُ، أَلَا فَمَنْ ثَبَتَ مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ وَ لَمْ يَقْسُ قَلْبُهُ لِطُولِ أَمَدِ غَيْبَتِهِ فَهُوَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ^(١).

فلاحظ عبارة: يجولون جولات النعم (الأنعام) في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه...

فهي كناية عن حالة من البحث عن الحقيقة التي هي متلازمة للإنسان أن يتعرف على قيادته وأن يبحث عنه. وأن علاقة هؤلاء بقائدهم وحاجتهم إليه ضرورية كضرورة الطعام للكائن الحي والأنعام.

والملاحظ في هذا الحديث أن فيه تأكيداً على أصل القضية المهدوية وأصل وجوده وغيبته الطويلة وموقف المؤمنين.

وهذا ما يؤكد ما يذهب إليه الإمامية من أن المهدي ولد لابنه الحسن العسكري ثم يغيب غيبة طويلة ولا يصدق على من يولد آخر الزمان، كما يذهب إليه علماء مدرسة الخلفاء.

ولا تصدق الغيبة إلا على من وجد حاضرا ثم غاب لسبب أو آخر، أما من لم يوجد أصلا ثم يوجد فلا يصح أن يقال أنه غاب، فإن الغياب في زمن إنما هو فرع الحضور في زمن قبله.

والغيبة الطويلة التي تترافق مع حيرة قسم من الناس هذه لا تنسجم مع النظرية التي يقدمها مدرسة أتباع الخلفاء عن أن الإمام المهدي يولد آخر الزمان من أهل البيت.

فهذا الحديث يتحدث عن غيبة أمدها طويل وعن حالة من التساؤل والتفتيش عن القيادة الربانية. وعن حالة الشيعة حينذاك، فقسم يقسو قلبه على أثر طول الغيبة وعلى أثر التشكيكات وعلى أثر البعد عن قيادته فيتخلى عن هذه القيادة وقسم آخر يثبت قلبه ويستمر على ذلك حتى يلقي ربه.

٣. لوح فاطمة الزهراء: عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال دخلت على فاطمة (عليها السلام)، وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء، فعددت اثني عشر اسما آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمد وأربعة منهم علي صلوات الله عليهم^(١). وفي هذا الحديث الذي يتميز بميزات منها أن عدد الأوصياء معين بـ (١٢ اسما) وهو بذلك يكون بمثابة الفصل والمبين لما أجمل في حديث النبي: الأئمة من بعدي اثنا عشر، وأنهم من قريش.. وأيضا يبين سبعة

من أسمائهم، ويبين أيضا أن آخرهم القائم المهدي. وتضاف إليه ميزة هي أن جابر بن عبد الله مقبول عند الفريقين بأعلى درجات الوثاقة والمنزلة.

٤. في حديث للإمام الحسن يخاطب أصحابه (أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه فإن الله ﷻ يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الاماء يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة..)^(١) وفي هذا الحديث جهات مهمة متعددة، فهناك تعليل للغيبة وهو أن لا يكون خاضعا لحاكم غير شرعي، وهذه ميزة لم تيسر لأي من الأئمة المعصومين من أجداده، وأيضا فإنه عينه قبل ولادته بأكثر من مائتي سنة أنه التاسع من ولد أخيه الحسين، فأصبحت الدائرة أضيق إذ لا ينطبق هذا الوصف على ولد فاطمة من نسل الحسن المجتبي، فنحن نلاحظ أن دائرة (من قریش) تضيق إلى أنهم (من ذرية النبي) و (ذرية النبي وهم أبناء فاطمة) تضيق إلى خصوص (أبناء الحسين) وحتى هؤلاء أيضا ليسوا كلهم داخلين وإنما هو خصوص (التاسع) من ولد الحسين وهو لا ينطبق إلا على محمد بن الحسن العسكري ﷺ. وأيضا فإن ما كان مجملا عند

بعضهم كما في الصحيحين من القول أن النبي أجمل الإشارة بقوله (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) فهنا تعين أنه يصلي المسيح خلف القائم، وأنه يغيب (بعدما كان حاضرا) وأن مشكلة العمر ليست عويصة بعدما كان الله سيطيل عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته..

٥. في حديث عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: (في التاسع من ولدي سنة من يوسف وسنة من موسى بن عمران^(١) عليه السلام)، وهو قائمنا أهل البيت يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة).

والتأكيد في هذا الحديث عن أن الإمام وهو التاسع من ولده وقد سبق منا الإشارة إلى جهة التأكيد على عنوان (التاسع) - فيه سُنَّتَانِ من سنن الأنبياء لبيان أنه لا ينفرد في هذه الخصائص وأنه لا ينبغي استنكارها أو رفضها فإن لها سابقيات في حياة الأنبياء، وسواء فسرت تلك السنن بخفاء المولد عن طاغية زمانها أو بالغيبة عن الناس (جغرافية ولو لفترة كما في النبي موسى) أو غيبة عنوانية كما هو الحال في النبي يوسف، أو غير ذلك.

٦. إن ما يوضح جانبا من تلك السنن التي تشابه فيها المهدي المنتظر مع الأنبياء هو الحديث الذي ينقله سعيد بن جبير عن الإمام زين

(١) في مجموع الأخبار: في القائم سنن من آدم ومن نوح ومن إبراهيم ومن موسى ومن عيسى ومن أيوب ومن محمد أي سبعة من الأنبياء صلوات الله عليهم، بل من أولياء الله غير الأنبياء كذي القرنين، والخضر.

العابدين علي بن الحسين يوضح تلك السنن فعنه صلوات الله عليه: «في القائم منا سنن من الأنبياء: سنة من أئينا آدم وسنة من نوح وسنة من إبراهيم وسنة من موسى وسنة من عيسى وسنة من أيوب وسنة من محمد صلوات الله عليهم، فأما من آدم ونوح فطول العمر، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس وأما من موسى فالخوف والغيبة وأما من عيسى فاختلف الناس فيه وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى وأما من محمد ﷺ فالخروج بالسيف».

والحديث واضح المعاني.

٧. وعن الإمام أبي جعفر الباقر ﷺ: «القائم منا منصور بالرعب مؤيد بالنصر تطوى له الأرض وتظهر له الكنوز يبلغ سلطانه المشرق والمغرب ويظهر الله ﷻ به دينه على الدين كله ولو كره المشركون فلا يبقى في الأرض خراب إلا قد عمر وينزل روح الله عيسى بن مريم ﷺ فيصلي خلفه»^(١).

وقد بين الإمام أبو جعفر ﷺ بعض صفاته، فهو (منا) وليس من غيرهم! وهو كجده رسول الله منصور بالرعب فلا يحتاج كثيرا إلى القوة النارية المدمرة بعدما دمر الرعب إرادات أعدائه ومراكز قرارهم النفسي.. وهو مؤيد من ربه بالنصر فلا معنى لأن يتساءل

أحد كيف ينتصر على هذه الأسلحة النووية والذرية! وتطوى له الأرض سواء كان ذلك بمعنى السرعة في الحركة والانتقال أو هو الطي الحقيقي! ما دام مؤيدا بسلطان الله تعالى، وتظهر له الكنوز كأنها في حالة تناغم مع إرادة مهديّ ربها، ويستفيد الإمام من كل تلك القوى المادية والروحية ويتنفع من التسخير الإلهي في أنه لا يبقى في الأرض خرابا إلا وقد عمره! ولا يختص هذا بعالم المسلمين في التصنيف الديني المعروف، وإنما يبادر المسيح (وفي بقاءه حجة على إمكان ووقوع بقاء الانسان لآلاف السنين حيا) فينزل إلى الأرض ليشهد هذا النصر الإلهي ويصلي خلف المهدي.

٨. وأما أحاديث الإمام جعفر الصادق في شؤون الإمام المهدي، فقد أورد الشيخ الصدوق في نفس الكتاب والأبواب (٥٧) حديثا، نختار منها ما يتعلق بالغيبة العنوانية وتشبيه الإمام الصادق عليه السلام الإمام المهدي بيوسف في غيبته مع أنه كان يتعامل مع الناس ويعيش بينهم، وهذا الحديث يشرح ما ورد في سائر الروايات من تعبير الغيبة وأن له غيبتين أحدهما قصيرة والآخرى طويلة، وأنه يغيب عن شيعته وعن الناس: فبعد أن أخبر الإمام سديراً الصيرفي بأن في القائم سنة من يوسف وهي الغيبة، أقبل عليه يوضح له ما هو المقصود من الغيبة، قال: «إن إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء تاجروا يوسف وبايعوه وهم أخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتى قال لهم: أنا يوسف فما تنكر هذه الأمة أنه

يفعل الله ﷻ بحجته في وقت من الأوقات كما فعل بيوسف؟»^(١)

فالملاحظ أن الإمام الصادق (المتوفى مسموما سنة ١٤٨ هـ) يتحدث في هذا الحديث، أي قبل قرن تقريباً من ولادة الحجة؛ ومع ذلك يهيئ من ذلك الوقت ويعطي الثقافة اللازمة لمن سيكون في زمانه وبعد زمانه.

والمعروف أن النبي يوسف غاب عن أهله وبقي حياً بالرغم من المؤامرة عليه، حيث أخفي في البئر ليكون فيه موته، ولكن الله حفظه فيه، فكذلك المهدي.

ويسأل الإمام الصادق بأسلوبه الاستنكاري: لماذا تستنكر الأمة هذا الشبه بين وصي خاتم الأنبياء وبين نبي الله يوسف؟. فإن إخوة يوسف لم يعرفوه بشخصيته، حيث خفي عنهم رغم تعاملهم معه.

حيث يستدل الإمام بذلك ويؤكد: لماذا تنكر هذه الأمة أن يكون أيضاً صاحب الأمر مع الناس ويجلس معهم ويتاجر معهم ويحضر معهم في الحج والمواسم، وربما يكون كتفه بكتفك ولكن لا تعرفه أنه هو.

فالإمام الصادق هو الذي بلور فكرة الغيبة العنوانية للإمام المهدي وأنه لم يكن اختفاءً جغرافياً.

(١) الكافي ٣٣٧/١ بسند صحيح: عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن الحسين، عن ابن أبي نجران، عن فضالة بن أيوب، عن سدير الصيرفي.

٩. وأما الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، فقد أشار إلى ما ستذهب إليه مدرسة الخلفاء وأتباعهم من أن المهدي وإن كان عقيدة حقة إلا أنه لم يولد وإنما يولد في آخر الزمان وفي هذا إنكار بطريق مباشر أو غير مباشر لكونه التاسع من ولد الحسين، ولقد أشار الإمام الكاظم (عليه السلام) في هذا الحديث إلى من سيتبنى هذا القول الخاطيء، فعنه (عليه السلام) أنه قال: صاحب هذا الأمر من يقول الناس: لم يولد بعد!

١٠. ويظهر من الرواية التي تنقل حادثة استماع الإمام الرضا (عليه السلام) لقصيدة دعبل (مدارس آيات) أن فكرة الاعتقاد بالمهدي وأنه من آل محمد، كانت متشرة وواسعة بين الناس، وقد أمضى الإمام ما أنشأه دعبل في قصيدته وأضاف إليها تفاصيل أخرى.. ففي الرواية^(١) عن دعبل بن علي الخزاعي أنه قال: أنشدت مولاي الرضا علي بن موسى (عليه السلام) قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة

ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج

يقوم على اسم الله والبركات

يُميّز فينا كل حق وباطل
ويجزى على النعماء والنقمات

بكى الرضا عليه السلام بكاء شديدا، ثم رفع رأسه إلي فقال لي: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم؟

فقلت: لا يا مولاي إلا أني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملاؤها عدلا كما ملئت جورا.

فقال: يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني، وبعد محمد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ﷻ ذلك اليوم حتى يخرج فيملا الأرض عدلا كما ملئت جورا. وأما (متى) فأخبار عن الوقت، فقد حدثني أبي، عن أبيه عن آبائه عليه السلام أن النبي ﷺ قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال ﷺ: مثله مثل الساعة التي «لَا يُجْلِيهَا لَوْفَتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً»^(١).

١١. وعن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام كما نقل السيد عبد العظيم الحسيني: إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته،

ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمدا ﷺ بالنبوة وخصنا بالإمامة إنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وإن الله تبارك وتعالى ليصلح له أمره في ليلة، كما أصلح أمر كليمة موسى ﷺ إذ ذهب ليقبّس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبي، ثم قال ﷺ: أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرَج.

وفي هذا الحديث تفصيل إضافي وهو أنه الثالث من ولد الإمام الجواد ﷺ، والتأكيد على أن الله يصلح أمر الإمام ويرتب الأمور لنهضته وإصلاحه، ضمن منطق الأمر الإلهي فهو يصلح كل ذلك في ليلة! تماماً مثلما جرى لنبي الله موسى، إذ ذهب يقبّس ناراً للتدفئة فرجع بالنبوة والرسالة.. كما أنه يعين أهم مسؤوليات المؤمنين بأهل البيت، وهو انتظار الفرَج، وعدم اليأس لأجل سيطرة الظالمين والانحراف.

١٢. وحين اشتدت ظروف المراقبة والتتبع من قبل العباسيين على الإمام علي الهادي ﷺ وشيعته وبدأ البحث عن الإمام المهدي، باعتبار أن ميلاده لم يبق له سوى واسطة واحدة وهو أبوه العسكري ﷺ، فجئ العباسيون في البحث والتحري عن المولود المنتظر، وعادت الأيام تذكر بسيرة فرعون في البحث عن نبي الله موسى، فكان الأئمة بين محذورين: لزوم الإخبار عنه حتى يعرف الناس حجة الله عليهم، ومحذور التخوف من مراقبة العباسيين

وعثورهم عليه عند ولادته ومعرفة مكانه، للقضاء عليه، فصدر لهذا الغرض توجيه من الأئمة بعدم ذكر اسمه، والتعمية عليه، والحديث عنه بالكناية، وفي هذا السياق يقول أبو هاشم داود الجعفري: سمعت أبا الحسن صاحب العسكر عليه السلام يقول: الخلف من بعدي ابني الحسن فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟ فقلت: ولم جعلني الله فداك؟ فقال: لأنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه، قلت: فكيف نذكره؟ قال: قولوا: الحجة من آل محمد عليه السلام.^(١)

١٣. والإمام الحسن بن علي العسكري والد الحجة المهدي عليه السلام، لا يكتفي بالحديث عن صفاته وإن كانت تعرّف الشخص للناس، وإنما يعرفه إياهم بوجوده الحقيقي بعدما ولد، حتى يبطل إدعاء من يزعم أنه يولد في آخر الزمان، فلا أثر بعد عيان، فعن أحمد ابن إسحاق بن سعد الأشعري قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف [من] بعده، فقال لي مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يُحِلِّ الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ولا يخلّيها إلى أن تقوم الساعة من حجة الله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض.

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟

فنهض ﷺ مسرعا فدخل البيت، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كان وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله ﷻ وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنه سمي رسول الله ﷺ وكنيته، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما^(١).

(١) كمال الدين ٤١٢ .

عن إمامة المهدي وحياته الشخصية

عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ انه قال: (المهدي حق وهو من ولد فاطمة بنت محمد).

يدفعنا إلى الحديث عن حياة الإمام الشخصية، محاولة معرفة أكثر وأكد، ذلك أن من الأصول الثابتة عند المسلمين جميعاً لزوم معرفة إمام زمانهم، اعتماداً على ما ورد عن النبي من أن (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

وقد ذكرنا في موضع آخر جهات في أهمية معرفة إمام الزمان، ونضيف هنا جهة أخرى وهي أننا معشر الإمامية نعتقد أن الأعمال يتضاعف أجرها بحسب المعرفة، فربما نقوم أنا وأنت بعملين متساويين من حيث الظاهر إلا أن أحدهما أكثر معرفة من الآخر، أو أوضح بصيرة، فينال بناءً على ذلك أجراً ومثوبة أكثر، وهذا أحد ما

جمع به العلماء بين الروايات التي ترتب آثاراً على عمل، وثواباً مختلف المقدار فتارة تقول إن من عمله له ألف حسنة وأخرى تقول ألفاً حسنة، فقالوا هذا يرتبط بأمور منها زيادة المعرفة في الثاني ونقصها في الأول. وهنا كذلك فالاعتقاد بإمامة الإمام لازم وواجب على المسلمين، ولكن ثواب ذلك يختلف بحسب اختلاف معرفتهم به. وهذه الصفحات تهدف إلى زيادة معرفتنا بإمام زماننا.

١. ما يرتبط بميلاده الشريف:

جوهر الخلاف بين المدرستين في عالم المسلمين: مدرسة أهل البيت (عليه السلام)، ومدرسة الخلفاء، يتلخص في أنه هل هو مولود وبالتالي موجود الآن، كما يذهب إليه أتباع أهل البيت؟ أو أنه سيولد ويأتي في آخر الزمان كما يذهب إليه سائر المسلمين من غير أتباع أهل البيت؟ وأما باقي القضايا فيمكن القول بوجود تسالم عليها، مثل أنه من ذرية النبي (صلى الله عليه وآله)، من ولد فاطمة، وأنه يصلح الله به الأرض..

ويقوم شيعة أهل البيت (عليه السلام) عدداً من عناصر الإثبات في ميلاد الإمام (عليه السلام) منها ما يلي:

الأول:

يتحدثون عن إخبار والده عن مولده، ويقولون إن إخبار والد

عن ميلاد ولد له هي طريقة عقلائية بين الناس وإسلامية في تثبيت بنوة شخص لشخص، وأبوة الثاني له.. فإذا أراد إنسان أن يثبت ميلاد ابنه ونسبه منه يكفي أن يخبر عن ذلك، ويشهد عليه، ومع إمكان ذلك وانتفاء الموانع يثبت مولده ونسبه.

ليست هذه الطريقة خاصة بالمسلمين وإنما هي طريقة العقلاء في كل مكان! ولا سيما في تلك الازمنة الماضية التي لم تكن قائمة على أساس التسجيل في إدارات والتوقيع في سجلات! بل بما هو دون ذلك، فإنهم كانوا يعرفون أن فلانا هو ابن والده إذا ولد في من منزله وأخبر عنه والده ولو بأن يقيم عقيقة على أساس أنه ولد له ولد، فيتعامل الناس معه بعد ذلك على هذا الأساس، ما لم يكن له معارض لهذا الإخبار.

وقد نقلت الروايات أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أخبر مراراً في عملية مقصودة أكثر من أربعين شخصاً في حادثة لا سابقة في حياة الأئمة المعصومين، ووزع من اللحم في عقيقته ما لم نشهده في ميلاد أي واحد من الأئمة عليهم السلام قبله^(١). حيث قيل إنه وزع عشرة آلاف رطل لحم ومثلها من الخبز على الناس،^(٢) وفي بعض الروايات

(١) نعم ذكر بالنسبة للإمام موسى بن جعفر الكاظم أنه أولم على بعض ولده فأطعم أهل المدينة ثلاثة أيام الفالودجات (لباب القمح بلعاب العسل) في الجفان في المساجد والأزقة.. كما في الكافي ٢٨١/٦.

(٢) كمال الدين ٤٥٩/١ عن أبي جعفر العمري (محمد بن عثمان) قال: لمّا ولد السيد (المهدي) عليه السلام قال أبو محمد (والده الحسن العسكري) عليه السلام: ابعثوا إلى أبي

انها كانت ٣٠٠ عقيقة!

وكان من تصل إليه تلك العقائق يعلم أنها بسبب ولادة مولود للإمام العسكري، فقد نقل عبد الله بن جعفر الحميري عن محمد بن ابراهيم الكوفي؛ إن أبا محمد (الحسن العسكري) بعث إلى بعض من سماه لي بشاة مذبوحة وقال: هذه من عقيقة ابني محمد^(١).

الثاني:

من تلك العناصر في إثبات ميلاده الشريف ذكر علماء الأنساب له. إذ أن علم الأنساب في تلك الأزمنة يعادل مؤسسات الأحوال المدنية والشخصية في هذه الأزمنة، فمثلاً يوجد في الدول المعاصرة إدارات ومؤسسات تعنى بتثبيت وتوثيق نسب العوائل وتصدر لها الوثائق بناء على ذلك، فإن دور النسابين سابقاً كان يستهدف هذا الغرض، فيسجلون في كتبهم ان فلانا قد ولد له من الذكور كذا ومن الإناث كذا، وما لم يعارضها شهادة أخرى أو معرفة نساب آخر، فإنه يثبت بها نسبه لوالده.

لقد سجل النسابة منذ القديم وبعضهم هاشميون على انه ولد للإمام العسكري عليه السلام ولد اسمه محمد، وبعض النسابة من غير

عمرو (عثمان بن سعيد العمري)، فبعث إليه فصار إليه فقال له: اشتر عشرة آلاف رطل خبز، وعشرة آلاف رطل لحم وفرّقه.

شيعة أهل البيت يضيف هذه العبارة وهو (الذي تزعم الشيعة انه المهدي). وكذلك ذكر مؤرخون ولادته بهذا العنوان.^(١)

الثالث:

إنهم يعتمدون على قضية عقائدية وهي أنه لو لم يولد الإمام المهدي يلزم كذب عشرات الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله وعن الأئمة المعصومين عليهم السلام وكذب هذه الأحاديث مستحيل.

بيانه:

أن هناك ما يقارب ٨٠ حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وأبنائه المعصومين عليهم السلام أن المهدي هو التاسع من ولد الحسين، وهذا العنوان «التاسع من ولد الحسين» لا يمكن ان ينطبق إلا على ولد للإمام الحسن العسكري لأن الولد الأول للحسين علي السجاد، والثاني محمد الباقر، والثالث جعفر الصادق والرابع موسى الكاظم، والخامس علي الرضا والسادس محمد الجواد والسابع علي

(١) قال ابن الأثير الجزري (ت / ٦٣٠ هـ) في كتابه (الكامل في التاريخ) في حوادث سنة (٢٦٠ هـ): «وفيها توفي أبو محمد العلوي العسكري، وهو أحد الأئمة الإثني عشر على مذهب الإمامية، وهو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر» ومثله ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) حيث قال في كتابه وفيات الأعيان: «أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله، ثاني عشر الأئمة الإثني عشر على اعتقاد الإمامية المعروف بالحجة».

الهادي والثامن الحسن العسكري والتاسع المهدي ﷺ.

لو فرضنا انه لم يولد كما يقول بذلك أتباع مدرسة الخلفاء وقلنا انه يأتي في آخر الزمان، فلا يمكن أن يكون التاسع بل يمكن أن يكون رقم ألف أو ألفين.. وقد ثبت في الروايات المعروفة به أنه التاسع من ولد الحسين.

كذلك يلزم من مقالتهم تلك أن يكون حديث الثقلين الثابت عند المسلمين متخلفا عن معناه، حيث أثبت أن هناك ثقلين هما العترة والكتاب وأنها متلازمان في الوجود ولن يفترقا حتى يردا الحوض على النبي.. وحين كانا لا يفترقان في الوجود فتصور وجود الكتاب وعدم وجود أحد من العترة وهو الإمام يعني الافتراق.. إذا اعتقدنا أن الإمام غير مولود وبالتالي غير موجود فمعنى ذلك أنه حصل الافتراق بينهما، وهذا يكذب حديث النبي أنها لن يفترقا إلى يوم القيامة!

الرابع:

ما يذكره الشيخ الصدوق اعلى الله مقامه في الاستدلال: وتوضيحه: إن لدينا من الأحاديث فيما يرتبط بشؤون المهدي أنه يولد وانه يغيب وانه تعترى الناس في وقته شبهات وان له غيتين وان بعض أقاربه يسعى لأخذ مكانه والسيطرة على ميراث أبيه.. الخ. هذه الأحاديث موجودة قبل ميلاد المهدي بنحو مائتي سنة

أو تزيد، وقد دونها الرواة عن الأئمة عليهم السلام، ولا يمكن أن تكون نحواً من التكهن ثم يكون الواقع على طبقها تماماً، فلم يبق إلا أن تكون إخبارات صادقة عن المعصومين من جهة الوحي. ^(١)

٢. إمامة الإمام المهدي

أثارت إمامة الإمام المهدي إشكالاً على الشيعة من قبل مخالفيهم؛ حاصله: أنكم كيف تقبلون إمامة شخص تولى ذلك المنصب وعمره ست سنوات؟ هذا وفيكم العلماء والمفكرون والفلاسفة.. الخ.

(١) قال في كمال الدين ١٩/١ «إِنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام قد أخبروا بغيبته عليه السلام ووصفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم واستحفظ في الصَّحَف ودون في الكتب المؤلَّفة من قبل أن تقع الغيبة بمائتي سنة أو أقلَّ أو أكثر، فليس أحد من أتباع الأئمة عليهم السلام إلا وقد ذكر ذلك في كثير من كتبه ورواياته ودَوَّنَه في مصنفاته وهي الكتب التي تُعرف بالأصول مدوَّنة مستحفظة عند شيعة آل محمَّد عليهم السلام من قبل الغيبة بما ذكرنا من السنين، وقد أخرجت ما حضرني من الاخبار المسندة في الغيبة في هذا الكتاب في مواضعها، فلا يخلو حال هؤلاء الاتباع المؤلَّفين للكتب أن يكونوا علموا الغيب بما وقع الان من الغيبة، فألفوا ذلك في كتبهم ودَوَّنوه في مصنفاتهم من قبل كونها، وهذا محال عند أهل اللَّبِّ والتَّحصيل، أو أن يكونوا (قد) أسَّسوا في كتبهم الكذب فأتفق الأمر لهم كما ذكروا وتحقَّق كما وضعوا من كذبهم على بعد ديارهم واختلاف آرائهم وتباين أقطارهم ومحالهم، وهذا أيضاً محالٌ كسبيل الوجه الاول، فلم يبق في ذلك إلا أنهم حفظوا عن أئمتهم المستحفظين للوصية عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله من ذكر الغيبة وصفة كونها في مقام بعد مقام إلى آخر المقامات ما دَوَّنوه في كتبهم وألفوه في أصولهم، وبذلك وشبهه فلج الحق وزهق الباطل. إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً.

وقد ذكر الإمامية عدة أجوبة:

أولاً: بالجواب التنظيري

بما حدث في أيام الإمام محمد الجواد (عليه السلام) وذلك لأن قضية صغر السن أثرت بدايةً في أيام الإمام الجواد، حيث تولى الإمامة وعمره ما بين ٧-٨ سنوات! فقد تم التساؤل حتى في داخل الشيعة أنه كيف يمكن أن يكون إمام بمثل هذا السن؟

وقد تم معالجة الأمرين على مستويين نظري وعملي، فمن جهة قيل للسائلين والمشككين إن قضية الإمامة شأنها كشأن النبوة في أن التعيين هو من الله سبحانه وفي النبوة أتى الله عيسى ويحيى الكتاب صبيين^(١). هذا وقد كانت نبوة عيسى مستأنفة وهي في نظر الناس لا ريب أهم من الإمامة، والتي هي امتداد لنبوة!

وكذلك من الناحية العملية، فقد تمت البرهنة أيام الإمام الجواد (عليه السلام)، أن الإمام لا يراد منه الطول والعرض وإنما يراد منه العلم والمعرفة، والتفوق فيهما، فلسنا في حلبة مصارعة حتى يراد جسم كبير وعضلات، وإنما يراد في هذا (أَيُّمَّةٌ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) وهذا حاصل، وهلم الميدان.. وقد جربوا (امتحان) الإمام الجواد من قبل

(١) في سورة مريم آية ١٢ ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ وفي آية ٢٩ و ٣٠ في شأن عيسى ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.

(أكبر) علمائهم^(١) فإذا بهذا الأكبر غارق في شبر ماء ألقاه إليه الإمام من مسائله ﴿فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ^(٢). هذا ولم يبعد العهد بين الزمانين إذ الفاصلة بين شهادة الإمام الجواد وإمامة المهدي لا تتجاوز ٣٥ سنة!

ومن أجل هذا نعتقد قال الإمام علي الرضا في حق ابنه الإمام الجواد: (ما ولد أعظم منه بركة على شيعتنا) وفي نص آخر (أعظم بركة على الإسلام) ذلك ان وجود الإمام الجواد وعلمه وإمامته وكفاءته كل ذلك ثبت إمامة ابنه الإمام علي الهادي الذي سيتولى الإمامة وعمره تسع سنوات إشكالية وسوف يثبت إمامة المهدي ﷺ فيما بعد.. فهي إشكالية وقد رفعت عمليا ووجدانيا!

ثانيا: العمر التكويني والآخر العقلي:

للإنسان عُمران؛ عمر تكويني وآخر عقلي. التكويني هو هذا العمر الظاهري الذي يتأثر بالزمان، فهو في البداية طفل ذو مدارك ومعارف محدودة، وبالتدريج يصبح شاباً فيكتسب معارف جديدة وعلوماً حادثة، وبتبع نظره وتأمله في ما حوله ينمو عقله، حتى يبلغ أشده كما يقول القرآن ببلوغ أربعين سنة. ثم يميل تدريجياً باتجاه الانحدار في القوى العضلية والعقلية والادراكية، حتى يصل إلى

(١) مناظرة القاضي يحيى بن أكثم مع الإمام الجواد مشهورة ومعروفة.

(٢) الأعراف / ١١٨-١١٩.

أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً^(١) من الناحية الادراكية، ويحتاج إلى من يتولى له أبسط الأمور من الناحية البدنية!

هذا العمر التكويني يمر به غالب البشر، لكن هناك عمراً عقلياً للإنسان قد يرتبط بعمره التكويني ويمر بنفس المراحل السابقة التي ذكرت، وقد لا يرتبط، أي من الممكن ان يكون عمر أحدهم خمس سنوات ولكن عمره العقلي خمسون سنة وآخر قد يكون عمره التكويني أربعين سنة ولكن عمره العقلي أربع سنوات.

ليس البشر جميعاً محكومين دائماً بارتباط عمرهم العقلي مقيد بعمرهم التكويني والشاهد على ذلك وجود النوابع والنوادر من البشر. فقد ذكروا أن أصغر نابغة في العصر الحديث ويسمى (آدم كري) من بريطانيا كان قادراً وهو في عمر سنتين على تهجئة أكثر من مئة كلمة من أعقد الكلمات في اللغة الانجليزية، وهذا لا يمكن تفسيره ضمن معادلات العمر التكويني، فمن كان في ذلك السن بالكاد ينطق الكلمات الأولية! يتابع هؤلاء حالة ذلك النابغة ليقولوا إنه لما صار عمره ثلاث سنوات بدأ يقرأ اللغة الفرنسية ويتكلم بها بطلاقة وعندما بلغ ثلاث سنوات ونصف أصبح يقرأ لشكسبير ويأخذ عليه إشكالات في التعبير والإنشاء!

كذلك فإن من كتبوا عن حياة موزارت الموسيقي المعروف قالوا إنه كان عمره ثلاث سنوات حينما بدأ يعزف أول مقطوعاته

(١) لخصته الآية المباركة ٥ من سورة الحج ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لَبْتُلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لَكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾.

الموسيقية، ولما أكمل أربع سنوات كان والده يدور به في أوروبا وهو يؤلف المقاطع الموسيقية ويعزفها!!

وفي بلاد المسلمين، وجدنا أشخاصا كثيرين، بعضهم كان يحفظ القرآن الكريم كاملاً بالقراءات العشر، وبعضهم كان يقرأها مع ترجمتها باللغتين الإنكليزية والفرنسية، ولم يعرف عنه أنه درس أيّاً منهما!

إن هذه النماذج ما هي إلا تقريب لتجلي الله في قدرته ووضعه شيئاً من عظمته في بعض عبادِهِ، ليتجاوز المألوف والطبيعي بين الناس، ويثبت لهم عياناً ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١). وإذا كان هذا النبوغ يحصل لشخص عادي بل لمن سيسخره في الموسيقى، فهل يمتنع ذلك على النبي والإمام اللذين أعدهما ربهما لهداية البشر إلى منهاجه؟

هل سيقبل الناس بمعلم نابغة سابق لعمره بعشرات السنين ولكنه صغير السن (ابن عشر سنوات) في تدريسه في الجامعة أو أنهم سيرفضونه بدعوى أنه ليس كبير السن ولا عظيم الجسم؟

نتتهي مما سبق إلى نتيجة أن المدار في الاتباع والطاعة ليس السن في صغره أو كبره، وإن كانت العادة أن يكون النبي أو الإمام في سن متعارفة، بل النبي يبعث عادة في سن الأربعين. لكن هذا ليس قاعدة نهائية فقد رأينا في يحيى وعيسى خلاف ذلك، وبيناً أن العمر التكويني ليس هو المقياس وإنما العمر العقلي.

وهناك سؤال ثالث يذكره بعض المخالفين وهو: أنه كيف تجتمع الإمامة على مسلككم أنتم الشيعة مع الغيبة؟

ذلك أن الإمامة عند الشيعة من القضايا الأساسية، فالإمام عندهم هو هادٍ وقائد، وهو بعد النبي امتداداً! فكيف ينسجم هذا مع شخص غائب لا تتصلون به ولا يتصل بكم لا ينفعكم ولا يضركم؟ فكيف تجمعون بين هذين الأمرين؟ وبالنسبة للمهدي فهو غائب، والغائب لا يتصرف، لا يفعل، لا يمارس دوراً الحال انكم تعتقدون ان الإمامة كالنبوة في موقعها في الأصول، وبعد النبوة فالإمام له التصرف والأخذ والرد.. فكيف يجتمع ذلك مع غيبته؟

والجواب على ذلك بتوضيح أمور:

الأمر الأول: التفريق بين الإمامة الالهية وبين التصرف الظاهري؛ فهما شيئان.. وقد عبر عن هذه الحقيقة الخواجة^(١) نصير

(١) نصير الدين محمد بن محمد الطوسي (ت ٦٧٢ هـ) كان رأساً في العلوم العقلية، علامة بالارصاد والمجسطي والرياضيات فيلسوف ومتكلم، وفلكي متمرس أنشأ مرصداً كبيراً في مراغة، وأنشأ مكتبة عظيمة حوت قرابة اربعمائة ألف مجلد جمعها من مختلف مكتبات العالم الاسلامي وبذلك صان التراث المسلم من الاندثار، له من الكتب الكثير، من أشهرها: تجريد الكلام (الاعتقاد) الذي شرحه علماء من المدرستين! وعشرات الكتب في العلوم العقلية والرياضية.

الدين الطوسي^(١)، حيث قال في كتابه (تجريد الاعتقاد)^(٢) في شأن الإمامة والتصرف الخارجي للإمام، قال «وجود الإمام لطف وتصرفه لطف آخر»^(٣).

(١) تعرض الخواجة نصير الدين الطوسي إلى حملة تشويه كبيرة قادها الطائفون، زعموا فيها أن النصير الطوسي قد اتفق مع المغول لإسقاط الخلافة العباسية، وطلبوا وزمروا في هذا، ولكنهم لو تخلوا عن عصبية المؤرخين الشاميين، لوصلوا إلى ما وصل إليه الدكتور سعد بن حذيفة الغامدي من السعودية في كتابه سقوط الدولة العباسية والذي فند كل تلك الادعاءات وأثبت أن لا أساس تاريخي صحيح لها، وإنما أملت لها العداوات المذهبية.. لمراجعة تفصيل دوره وحياته يمكن مراجعة كتابنا: من أعلام الامامية / الفصل الخاص بحياته ودوره.

(٢) تجريد الاعتقاد ١ / ٢٢١.

(٣) قال العلامة الحلي في كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ١ / ٣٦٣، شارحا تلك الفقرة، ومبيناً جواب الاعتراض وهو اعتراض على الأئمة عليهم السلام، الذين منعوا من التصرف بإبعادهم عن مراكز الحكم والقيادة: «قالوا الإمام إنما يكون لطفاً إذا كان متصرفاً بالأمر والنهي وأنتم لا تقولون بذلك فما تعتقدونه لطفاً لا تقولون بوجوبه وما تقولون بوجوبه ليس بلطف (والجواب) أن وجود الإمام نفسه لطف لوجوه: أحدها أنه يحفظ الشرائع و يحرسها عن الزيادة و النقصان. وثانيها أن اعتقاد المكلفين لوجود الإمام وتجويز إنفاذ حكمه عليهم في كل وقت سبب لردعهم عن الفساد ولقرّبهم إلى الصلاح وهذا معلوم بالضرورة. وثالثها أن تصرفه لا شك أنه لطف ولا يتم إلا بوجوده فيكون وجوده نفسه لطفاً وتصرفه لطفاً آخر. والتحقيق أن نقول لطف الإمامة يتم بأمور (منها) ما يجب على الله تعالى وهو خلق الإمام وتمكينه بالقدرة والعلم والنص عليه باسمه ونسبه وهذا قد فعله الله تعالى. (ومنها) ما يجب على الإمام وهو تحمله للإمامة وقبوله لها وهذا قد فعله الإمام (ومنها) ما يجب على الرعية وهو مساعدته والنصرة له وقبول أوامره وامتنال قوله وهذا لم تفعله الرعية فكان منع اللطف الكامل منهم لا من الله تعالى ولا من الإمام».

وبعبارة أخصر أن نصب الإمام لطف إلهي وتصرفه الظاهري وقيادته لطف آخر قد يجتمعان وقد ينفصلان، فالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان إماما بعد رسول الله إلى أن استشهد مع أن تصرفه الظاهري كان فترة خمس سنوات من ما مجموعه ثلاثون سنة تقريبا.

ولم يكن ذلك يضر إمامته في شيء، نعم كان حرمان الناس من تصرفه في الفترة الأولى قبل خلافته الظاهرية حرمانا من لطف الله أن يصل لهم، ولكن المسؤول عن ذلك لم يكن الإمام وإنما (الناس) ولذلك قال الخواجة في تنمة كلامه (وعدمه منّا) أي عدم اللطف راجع في سببه إلينا نحن الناس لا لله ولا للإمام.

والأمر كذلك هو بالنسبة للإمام المهدي (عليه السلام) فإن وجوده وإمامته لطف إلهي، وتصرفه المباشر والظاهري لطف آخر، وعدم هذا التصرف هو بسبب الناس!

الثاني: من يقول إنه لا يتصرف، وإنه لا يفعل، من يقول إنه لا تصل خيراته وبركاته إلى من يتبعه ويشايعه؟ إن الإمام لا يقدم لك تقريرا عما يصنع في كل يوم! لكنه حاضر ناظر! لا سيما على الفكرة الصحيحة من أن غيبته سلام الله عليه ليس غيبة شخص وإنما غيبة عنوان.

أي أنه موجود يشهد الموسم، يعني الحج كما هو مفاد روايات، فقد تكون في الحج ويكون إلى جانبك في الطواف، كتفك بكتفه ولكن لا تعرف أن هذا الذي يلامس كتفك كتفه هو حجة الله على

الأرض! ويتابع أمور المؤمنين ويعمل في تفريج كربهم بمقدار ما يوفقه الله، وهذا ما يؤكد بعض ما روي عنه ﷺ (أنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللاواء أو اصطلمكم الأعداء)^(١).. كيف يتم ذلك؟ نحن لا نعلم! وهل هذا هو الشيء الوحيد الذي لا نعلمه؟ بل لا ينبغي أن نعلمه.. ما ينبغي أن نعلمه عنه ﷺ (وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء) ووظيفة المؤمن بعد الايمان بذلك (فأغلقوا باب السؤال عما لا يعينكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدُّعاء بتعجيل الفرج، فإنَّ ذلك فرجكم).^(٢)

إننا نعتقد أنه لولا رعاية الله سبحانه، لهؤلاء المؤمنين بواسطة وليه وإمامهم، لاصطلمتهم البلايا، كيف لا وهم منذ مئات السنين هدف هجمات أعدائهم على كافة المستويات!! ولكن الله سبحانه وتعالى يدفع عنهم. إن ما ثبت لسيد هذه الأسرة وسيد الخلائق محمد المصطفى ﷺ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(٣) ليثبت لوارثه وامتداده وسميه الحجة على الخلق محمد بن الحسن العسكري ؑ.

إننا نرى النتائج والآثار! ولكننا لا نرى المقدمات والأسباب، لا نرى كيف تم دفع البلاء! ولا ينبغي أن نتكلف ذلك، لكن يكفي

(١) الاحتجاج ١/ ٤٩٧. واللاواء تعني الشدة وضيق المعيشة. واصطلم يعني استأصل.

(٢) كمال الدين / ٤٨٥.

(٣) الأنفال: ٣٣.

أن نرى أن غير هذه الطائفة مع أنها لم تتعرض إلى عشر معشار الهجمات التي تعرض لها شيعة أهل البيت ومع ذلك فقد ذهبت تلك الفئات أدراج الرياح وأصبحت أثرا بعد عين، بينما بقي شيعة آل محمد يزدادون كما وكيفا وعطاء وبركة، ولا نفهم سببا واضحا لذلك غير حيابة الله لهم عبر سيدهم وإمامهم الحجة المهدي.

كيف هي حياته الشخصية؟

هل عنده أولاد؟ هل عنده زوجة أو زوجات؟ أين وكيف يعيش؟

توجد ثلاثة أقوال:

الأول:

وهو المشهور عند أكثر علماء الإمامية أنه لم يثبت وجود زوجة أو أولاد للإمام المهدي، فمع أن الزواج مستحب وهو سنة رسول الله إلا أنه إذا عارض هذا المستحب أمرٌ أهم فلا يبقى ذلك الاستحباب بفعليته، وفي مقامنا هنا فإن ما تقتضيه طبيعة حياة الإمام ﷺ من حياة سرية، وتنقل فوري وعدم استقرار في مكان، تعارض الزواج فلا يعود الزواج مطلوباً. وليس هذا بدعا فقد كان في حياة الأنبياء والرسل، فهذا نبي الله يحيى بن زكريا ﷺ يصفه القرآن بأنه سيد

وحصور^(١) وكذلك كان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فإنه لم يتزوج إلى أن رفعه الله إليه. ولعل سبب ذلك راجع إلى نمط حياته وسياحته في الأرض مبلغا عن الله تعالى.

وإذا لم يكن له زوجة فمن الطبيعي أن لا يكون له أولاد وهذا هو الرأي المشهور بين الإمامية.

القول الآخر:

متزوج بلا ذرية: وهو ما ذهب إليه الشهيد السيد محمد صادق الصدر فإنه بعد أن أكد أن نظرية غيبة الشخص تعارض إمكان أن يكون متزوجا «بقاؤه طيلة غيبته أو في الأعم الأغلب منها بدون زواج، ضروري لحفظه و سلامته إلى يوم ظهوره الموعود، فيكون ذلك متعينا عليه»^(٢) لكن (غيبة الشخص) في المهدي ليست تامة. وأما بناء على النظرية الثانية (خفاء العنوان)، فهو «وإن كان من المتعذر عليه إيجاد الزواج بصفته الحقيقية، لما قلناه من عدم وجود المرأة الخاصة المأمونة بالنحو المطلوب. ولكن زواجه بصفته فردا عاديا في المجتمع، أو بشخصيته الثانية، ممكن ومن أيسر الأمور،

(١) آل عمران / ٣٩ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، قال الراغب في مفرداته (مادة حصر): الحصور الذي لا يأتي النساء إما من العنة وإما من العفة والاجتهاد في إزالة الشهوة والثاني أظهر في الآية لأنه بذلك يستحق المحمودة.

(٢) تاريخ الغيبة ٢ / ٦٢.

بحيث لا تطلع الزوجة على حقيقته طول عمرها..»^(١).. وأكمل الصدر فكرته السابقة قائلاً «وإذا أمكن زواجه، أمكن القول بتحقيقه، وإن الإمام المهدي عليه السلام متزوج في غيبته الكبرى بالفعل. وذلك لأن فيه تطبيقاً للسنة المؤكدة في الإسلام والأوامر الكثيرة بالزواج والحث العظيم عليه والنهي عن تركه، والمهدي أولى من يتبع السنة الإسلامية. وبخاصة إذا قلنا بأن المعصوم لا يترك المستحب ولا يفعل المكروه مهما أمكن، والتزمنا بعصمة المهدي كما هو الصحيح. فيتعين أن يكون متزوجاً، بعد أن توصلنا إلى إمكان زواجه وعدم منافاته مع احتجابه».

وأما بالنسبة للذرية والأولاد، فإنه يقدم «برهانا على انتفاء الذرية أصلاً. وهو: إن وجود الذرية ملازم عادة لانكشاف أمره والاطلاع على حقيقته»^(٢). وينتهي إلى أن «المتحصل من القواعد العامة، هو أن المظنون أن يكون الإمام المهدي عليه السلام متزوجاً بدون ذرية. لا لنقص فيه بل ولا في زوجته، بل لإشاعة الله تعالى ذلك».

الثالث وقد ذهب إليه بعض العلماء وينتهي إلى أن للإمام زوجة وأولاداً وانهم يسكنون في مكان قصي، سموه الجزيرة الخضراء (وهي عدة مدن) وقد رد المرحوم السيد جعفر العاملي وغيره من العلماء بدراسات محققة فكرة الجزيرة الخضراء من رأس ورأوا أنها

(١) نفس المصدر.

(٢) المصدر ٦٣/٢.

لا تصح وبالتالي فلا الأصل صحيح ولا البناء عليه.

تنبيه مهم:

ينبغي أن نشير إلى مسألة مهمة وهي أنه حتى لو بنينا على وجود زوجة وأولاد للإمام، وهو ما لا يراه مشهور العلماء عند الإمامية، مع ذلك فإنه لا ينفع بعض مدعي المهدوية أو الاتصال بالمهدي باعتبار أنه من أولاده أو غير ذلك. فإن بعض أولئك (وسياأتي الحديث عن الحركات المهدوية الكاذبة) لجذب الناس واستقطابهم ربما ادعوا أنهم من أولاد الإمام المهدي أو ما شابه ذلك.. وهذه الفكرة لا تنفعهم، فحتى لو ثبت أن له أولاداً، فإن هذا لا يثبت أن فلاناً المدعي هو من أولاده إذ على كل من يدعي أمراً أن يقيم بينة عليه.. إن هذا مثل أن يثبت أن في البنك أموالاً، فيدعي شخص أنها له!

معرفة الإمام المنتظر ﷺ

(عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ أنه قال المهدي من عترتي من ولد فاطمة)^(١).

لا ريب أن معرفة القائد والإمام لازمة للإنسان التابع والمأموم.. فإن معرفته الشخصية تعينه على أن يعرف صفته وهل هو إمام هدى وقائد حق أو إمام ضلالة؟ وهو أخرى بأن يلتزم بأوامره وأن يزيد في انتمائه إليه ولهذا السبب وجدنا بعض الادعية المستحبة^(٢) في زمان الغيبة يسأل العبد فيها ربه أن يعرفه بإمامه، فإنه لو لم يعرفه

(١) تقدم في الصفحات السابقة ذكر مصادر الحديث.

(٢) كما ورد بأسانيد معتبرة بالدعاء المعروف (اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني). كمال الدين ١ / ٣٤٢.

لضلل عن دينه.

وسنعرض في هذه الصفحات ولو باختصار إلى شيء مما يرتبط بتعريف الإمام المهدي عليه السلام في اسمه وكناه وألقابه:

الاسم: ما يعرف به الشخص أو الشيء ويستدل به عليه، وهو العلامة التي تعينه.

والتسمية للأفراد والأشياء من الأمور الضرورية في الحياة الاجتماعية، فتصور لو لم يكن لأفراد المجتمع المعاصر أسماء، كيف يمكن الإخبار عنهم والحديث حولهم؟ وهكذا الحال في المعاملات الاقتصادية لو لم يكن أسماء للأشخاص فكيف يمكن تعريف شخص على أنه باع وآخر على أنه اشترى!

لاريب أنه سيكون الأمر صعباً في الحياة الاجتماعية والسياسية، بل وحتى الثقافية فكيف يمكن التعرف على أحداث التاريخ لولا أسماء أصحاب الأحداث؟ نعم ربما يستفاد في هذه الأزمنة من الصورة للتعريف، إلا أنها لو كانت نافعة فهي في بعض الأزمنة والأمكنة والأحوال، بخلاف الاسم الذي ينفع في كلها أو جلها.

وأما الكنية فهي كما قيل: ما يجعل علماً على الشخص غير الاسم واللقب مما بدأ بأب أو ابن أو أخ أو أخت أو أم أو بنت مثلاً (أبو عبد الله) وابن رسول الله، وبنت فلان أو أم فلان، وتستعمل مع الاسم واللقب أو بدونهما؛ تفخيماً لشأن صاحبها أن يذكر اسمه مجرداً

وتكون لأشراف الناس، وقد نقل عن (جار الله الزمخشري)^(١) قوله أنه لا يوجد عند غير العرب كنى! وهذا النفي إنما يصح في الجملة فمثلا في البلاد الغربية لا يوجد كنية مثل: أبو جون أو أم جاكلين.. لكن النفي المطلق يبدو أنه محل تأمل، فإن في اللغة الفارسية تراكيب تفيد نفس معنى الكنية في اللغة العربية مثل (زاده بمعنى ابن، وبور أيضا بنفس المعنى) فيقال مثلا محمد زاده يعني ابن محمد، وشاه بور بمعنى ابن الملك، وهكذا الحال في اللغة التركية حيث يوجد لديهم (أوغلو) بمعنى ابن فيقال داود أوغلو يعني ابن داود، وهكذا.. والأمر يحتاج إلى تتبع واستقراء أكثر.

وأما اللقب: فهو ما يسمى به الإنسان بعد اسمه الأول للمدح أو الذم فيقال فلان العالم أو الطيب وهذه الألقاب فيها إشعار بالمدح، وقد يلقب بألقاب غير حسنة كفلان الاعرج وهو منهى عنه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِالْأَلْقَابِ﴾.

وكأحكام شرعية يستحب اختيار الاسم المناسب والحسن للمولود كما يستحب تكنيته بكنية جيدة وهكذا الحال لو أريد مناداة أحد بلقبه فإنه ينادى باللقب الذي يحبه ويكون حسنا.

(١) محمود بن عمر الزمخشري، جار الله ت ٥٣٨ هـ من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب.. أشهر كتبه (الكشاف - ط) في تفسير القرآن، (أساس البلاغة - ط) وغيرها من الكتب وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف/. عن الأعلام للزركلي.

ولو سلك المؤمنون هذا السلوك فيما بينهم وعلموا أولادهم عليه لزالَت مظاهر سيئة من قبيل التنازع بالألقاب، وجعل أسماء وكنى غير حسنة عليهم.

ونجد هذا في سيرة المعصومين مع آبائهم فقد كنى رسول الله ﷺ سبطه الحسين وهو صغير، كما ورد في الروايات. أنه كان يخاطبه أحياناً بأبي عبد الله. والإمام علي الرضا كان يُخاطب ابنه محمداً الجواد ﷺ بأبي جعفر مع أنه كان في ذلك الوقت دون سبع سنوات.

ومن الآداب الإسلامية أن لا يخاطب الحاضر باسمه المجرد وإنما بكنيته أو لقبه. فتقول له مثلاً يا أبا علي افعل كذا.. أو يا أيها المؤمن! أو أيها الطبيب.

وفي ما يرتبط بالإمام المهدي ﷺ، فقد ورد عن النبي (اسمه اسمي) وفي بعضها (وكنيته كنيته) والنبي وإن كان له أسماء متعددة إلا أن اسمه العلم الواضح هو (محمد) ﷺ. وهو نفس اسم الإمام المهدي.

بحث حول ذكر الإمام المهدي باسمه الصريح:

١. يستفاد من عدد غير قليل من الروايات أن ذكر الإمام المهدي باسمه الصريح (محمد) أو (محمد بن الحسن) كانت ممنوعة وغير

جائزة على الأقل لفترة من الزمان. ولم يقتصر الأمر على الروايات بل كان هذه الحكم هو الرأي السائد في تاريخ الفقه الشيعي منذ زمان الغيبة الصغرى إلى أيام الخواجة نصير الدين الطوسي رحمته الله (ت ٦٧٢ هـ) وفي زمانه ألف الخواجة الطوسي رسالة^(١) درس فيها الروايات تلك وعالجها وانتهى إلى أن هذا التحريم والمنع كان له ظرفٌ زمنيٌّ محدود. وهو (ظرف الاستتار) في زمان الغيبة الصغرى، وبدايات الغيبة الكبرى حيث كان هناك تخوفٌ تهديدٌ على اثر طلب السلطات الظلمة الإمام المهدي رحمته الله وتتبع أثره وخبره، فكان من الطبيعي ان يصدر توجيه بمنع التعامل مع اسمه الرسمي والواضح. فكان هذا المنع أشبه بالأحكام الولائية التي كان يصدرها رسول الله صلى الله عليه وآله في زمانه لقضية محددة.

وبيان ذلك: أن العلماء يتحدثون عن أن الروايات والأحكام هي على أقسام؛ فمنها ما يكون داخلا تحت عنوان (حلال محمد حلال أبدا إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبدا إلى يوم القيامة لا يكون غيره ولا يجيء غيره)^(٢) وهناك من الأحكام والروايات ما جاء لينظم قضية ذات زمان ومكان وأشخاص محددين مثل ما صنع النبي بالنسبة إلى تحريم الحُمُر (جمع حمار) الأهلية، فإن من المعروف عند المسلمين أن النبي نهى عن أكل هذه الحمر في خير، بل وأكفأ

(١) تعريب منتهى الآمال ٢ / ٧٠٧.

(٢) صحيحة زرارة المروية في الكافي ١ / ٥٨.

بعض القدور التي كانوا يريدون أن يطبخوا فيها تلك الحمر.

وبينما التزم فقهاء مدرسة الخلفاء بحرمة أكل لحم الخمار الأهلي إلى يومنا هذا^(١) فإن فقهاء الإمامية لم يلتزموا بالحرمة، وإنما قالوا بجواز ذلك مع كراهة، والسبب هو ما جاء عن أئمة أهل البيت من أن ذلك المنع إنما كان حكماً ولائياً لظرف خاص وهو أن (الحمر الأهلية في خيبر كانت حمولة الناس)^(٢) للانتقال ولحمل الغنائم. فمنع النبي من ذبحها.

الخواجة نصير الدين الطوسي رحمته الله استفاد من هذه الفكرة في التقسيم والتمييز بين أوامر ونواهي المعصومين، وقال إن منع التسمية باسم الإمام المهدي هو من هذا القبيل وأنه كان مربوطاً بزمان معين، وقد انقضى ذلك الزمان، ولذلك فالرأي السائد بين الإمامية الآن هو جواز التسمية بـ الاسم الصريح والاشارة الكاملة للإمام عليه السلام.

الأمر الآخر في موضوع اسم الإمام المهدي، هو أنه قد ورد في

(١) قال ابن قدامة المقدسي في المغني ٦٥/١١ «أكثر أهل العلم يرون تحريم الحمر الأهلية، قال أحمد خمسة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كرهوها، قال ابن عبد البر لا خلاف بين علماء المسلمين اليوم في تحريمها...».

(٢) سأل زرارة ومحمد بن مسلم أبا جعفر عليه السلام عن أكل لحوم الحمر الأهلية، فقال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عنها وعن أكلها يوم خيبر وإنما نهى عن أكلها في ذلك الوقت لأنها كانت حمولة الناس، وإنما الحرام ما حرم الله تعالى في القرآن. الكافي ٢٤٦/٦.

بعض مصادر مدرسة الخلفاء أنّ اسم المهدي هو (محمد بن عبد الله) أو أنّ النبي ﷺ قال (اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي) ويتمسك بعض المخالفين للإمامية بتلك الروايات ليقولوا أن (مهدي الشيعة) يختلف عن (مهدي السنة) فهذا الثاني اسم أبيه عبد الله، والأول اسم أبيه الحسن!

الجواب عن ذلك: اننا نعتقد أن الروايات التي ورد فيها (واسم أبيه اسم أبي) هي نتاج الفترة العباسية وبالتحديد زمان المنصور العباسي، ففيه كان الصراع بين العباسيين والعلويين وبالذات أحفاد الإمام الحسن المجتبي في ذروته، وكان بين أحفاد الحسن بن علي شخصية بارزة ومهمة لقب (بالنفس الزكية) واسمه محمد بن عبد الله بن الحسن، وقد شاع بين قسم من هؤلاء أنّ هذا هو الذي تحدث عنه النبي ﷺ لأن النبي يعتبر أن المهدي من نسل فاطمة وهذا من نسل فاطمة لأنه من أبناء الحسن ويقول اسمه أسمي وأسمه مطابق له واسم أبيه عبد الله وكذلك اسم والد النبي إذاً هذا ينطبق عليه علامات المهدي، فكان من الطبيعي أن يقوم المؤيدون^(١) لبني الحسن بنشر هذه الفكرة لاستقطاب الاتباع.

ولا ريب أن هذا كان سلاحاً مؤثراً في التحشيد وتعبئة الأنصار لبني الحسن وللنفس الزكية تحديداً.

(١) قد يكون ذلك بسبب الجهل المركب، وقد يكون مع العلم عند بعضهم بعدم صحة ذلك.

في مقابل ذلك جاء العباسيون وارادوا أن يستخدموا نفس السلاح، وكان للمنصور العباسي واسمه عبد الله وكنيته أبو جعفر، ولد اسماه محمداً، ولقبه بالمهدي، فصار هذا محمد بن عبد الله المهدي، أيضاً ينطبق عليه (اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي)! وحاولوا أن ينشروا بين اتباعهم وأنصارهم أن هذا هو الذي جاء ذكره في الروايات، مناكفة منهم لأعدائهم بني الحسن!

وكانه اجتمع في هذه الفترة العباسية الطرفان المتعاديان على نشر فكرة (اسم أبيه اسم أبي) وكل منهم يستفيد منها بحسب تفسيره لها، مع أنها كما يعتقد الباحثون ليست موجودة في أصول هذه الأحاديث، وأن مجموع الروايات في المهدي يمتنع أن ينطبق على أي منهما.

فالمهدي العباسي ليس من ولد فاطمة، وليس من (عترتي) وليس (من ولد الحسين) وليس (التاسع).

وكذلك النفس الزكية فهو وإن كان من ولد فاطمة، ومن (عترتي) و(من ولد الحسين) إلا أنه ليس (التاسع من ولد الحسين)، ومع انتهائه إلى القتل والشهادة فقد دل ذلك على كونه ليس المهدي المنتظر.

وأما ما يرتبط بكنى الإمام عليه السلام: فله عليه السلام كنية نصت عليها الروايات وهي أنه (أبو القاسم) وهي كنية رسول الله ﷺ، حيث ورد عنه أنه قال (اسمه اسمي وكنيته كنيتي)، وفي حديث عن

الإمام العسكري (عليه السلام) (الإمام من بعدي سمي رسول الله وكنيته) (١)، ومن كناه أيضاً أنه (ابن الحسن).

وعندما يقال أنه (أبو القاسم) لا يعني بالضرورة أن لديه ولداً هو الأكبر بهذا الاسم، فقد ذكرنا آنفاً بأن الكنية مستحبة حتى للولد الصغير غير المتزوج، واستحبابها لا يرتبط بوجود ولد بالفعل للإنسان.

ومن كناه الشائعة والمنتشرة بين الناس، ولكن لا يوجد في تراث المعصومين ما يؤكد هذه الكنية (أبو صالح)، فهذه الكنية ولا سيما في الثقافة الشعبية الفارسية منتشرة جداً فيتوسل به وينادي بهذه الكنية كثيراً. ونقل أيضاً أنها منتشرة بين أهل البوادي والأرياف من شيعة أهل البيت، ولم يعرف لها مصدر!

نعم قد نقل المحدث النوري الطبرسي (عليه السلام) في كتابه (النجم الثاقب) رواية قد يستفاد منها أن هذه كنية للإمام، فقال إذا كنت في الصحراء وأضعت الطريق فالتفت إلى يمينك وقل يا صالح أو يا أبا صالح! وقد نوقش فيها من جهة سندها، وأنها ليست معتبرة، ومن جهة دلالتها ومعناها حيث لا يوجد دليل على أن (صالح) أو (أبا صالح) يقصد به الإمام المهدي (عليه السلام) لاسيما كانت في زمان الإمام الصادق (عليه السلام) فلاهي من الناحية السنية معتبرة ولاهي من الناحية

الدلالية واضحة. نعم لو تم التوجه للإمام قلبيا وتمت مناداته بهذه الكنية فلا مشكلة في ذلك، فإن الكنى و الاسماء إنما هي طرق لاستحضار المعنى فإن كان المعنى حاضرا في الذهن.. فلا محذور في ذلك.. نعم هي على ما سبق لم يثبت ورودها عن المعصوم.

وأما ألقاب الإمام (عليه السلام): فقد ذكر بعض الباحثين أنها تزيد عن (١٨٠) لقبا، وهي تشير إلى جهات كماله وصفاته.

وقد لا يكون هذا غريبا فإن ألقاب الشخص تشير إلى جهاته، وبمقدار تعدد هذه الجهات تتكثر الألقاب، فإن العلماء مثلا عندما يذكرون أسماء الله سبحانه، لا يستطيعون إحصاءها، فهل هي ألف أو مليون أو أكثر؟ هي لا عد لها ولا حصر.. إن ما يوجد في دعاء واحد هو دعاء الجوشن الكبير^(١) يصل إلى ألف اسم وصفة، مع أنه لا يستقصى كل الاسماء والصفات والألقاب، ولا يستطيع أحد أن يستقصيها، كيف وهي جهات كمال الله ﷻ وجلاله، وهي غير محصورة؟

لذلك فإن وجود ١٨٠ لقبا للإمام المهدي (عليه السلام) ليس شيئا مستغربا ولا عجيبا، ومن تلکم الألقاب، وأكثرها معرفة:

المهدي:

وهذا اللقب وارد في أحاديث رسول الله، بل عن الله سبحانه.

(١) مفاتيح الجنان؛ الشيخ عباس القمي.

ولعل قائلًا يقول: إن لقب الهادي أقوى وأهم من المهدي، إذ في ذلك اللفظ هو فاعل الهداية، بينما هنا من تقع عليه الهداية، وفي المعنى الظاهري فإن الهادي أقوى من المهدي!

والجواب: أنه تم تفسير المهدي في روايات الإمام الصادق إلى أنه (قد هُدي إلى أمر خفي على الخلائق) ولا ريب أن هذا الأمر لا بد أن يكون في غاية الأهمية وإلا فإن ما خفي على الخلائق أشياء كثيرة! وفي بعض الروايات الآخر أنه (هدي إلى كتب الأولين من صحف إبراهيم وإنجيل عيسى وتوراة موسى) في صورها الأصلية كما نزلت على المرسلين أنفسهم. وهذا المعنى يتوافق مع المعنى السابق حيث أن هذه الكتب في صورتها التي نزلت على الرسل مما خفي على الخلائق.

القائم:

وهو لقب مروي عن المعصومين عليهم السلام أيضا، وهو إما لأنه يقوم بالحق، كما ورد في بعض الروايات، أو لأنه يقوم بعد ما مات ذكره^(١).

(١) كمال الدين ١/ ٣٧٨؛ في الرواية عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام قال: «..إنَّ من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر. فقلت له: يا ابن رسول الله لم سمي القائم؟ قال: لأنَّه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته. فقلت له: ولم سمي المنتظر؟ قال؟ لأنَّ له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهيء بذكره الجاحدون، ويكذب فيها الوقَّاتون،

و(بعدما مات ذكره) حالة نراها اليوم، فأنت ترى العالم الإسلامي الآن لا يعيش هاجس الإمام المهدي ومعرفته ولا ينتظره، ولو استثنيت قسماً من شيعة أهل البيت المتعلقين به عليه السلام والذين يتحركون لظهوره ويعيشون انتظاره، لكانت الصورة سوداء تماماً!

وإذا كان هذا حال العالم الإسلامي فما ظنك ببقية العالم؟ إن ذكر الإمام ليس حياً في عالم اليوم وإنما ذكرٌ خامد، فهو (يقوم) بعد ما (يموت ذكره).

هل يجب القيام عند ذكر القائم؟

توجد ممارسة في الوسط الشيعي وهي أنهم عندما يذكر لقب (القائم) مقترناً باسم المهدي يقفون على أقدامهم^(١).. ولا ريب في عدم وجوبه من الناحية الفقهية، وإن كان حسناً باعتباره أنه يعبر عن الاحترام وإعلان الولاء والطاعة إلى حد الوقوف لذكر اسمه الشريف أو لقبه.

هل له أثر عن المعصومين؟

نقل عن سبط المحدث الجزائري المتوفى بعد سنة (١١٢٠ هـ)،

.....
ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمون».

(١) وفي خصوص بعض المجالس الحسينية إذا أراد الخطيب أن يقف الناس ويتقدموا إلى داخل المجلس يقرأ بيت السيد حيدر الحلي: لقد وضعت أوزارها حرب هاشم وقالت قيام القائم الطهر موعدي.

في كتاب ألفه عن وفاة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) فقال فيه أنه: «لما قرأ دعبل الخزاعي قصيدته على الإمام الرضا ووصل إلى قوله: خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات»

فقام الإمام (عليه السلام) ووضع يده على رأسه^(١)، فكان هذه الحادثة صارت منشأ للقول باستحباب هذه الممارسة.

بالطبع فإن هذا الكتاب والكتاب حيث أنه من المتأخرين جدا إذ لا يفصلنا عنه سوى ثلاثة قرون، فلا يكون خبره معتبرا لا سيما أنه لم يرد في مصدر آخر. وإن كانت هذه الممارسة بعنوان أنها من مصاديق احترام المعصوم وتوقيره فتدخل ضمن العمومات التي تحث على توقيره وتعظيمه. لكنه غير واجب.

الحجة^(٢):

وهو من أشهر ألقابه (عليه السلام)، ومناسبته واضحة كمعناه، فإن

(١) ذكره العلامة الأميني في الغدير ١/ ٣٦١ ناقلا عن مشكاة الأنوار ومؤجج الأحرار للشيخ محمد بن عبد الجبار البحراني. والشيخ عبد الرضا بن محمد الأوالي البحراني

(٢) الحجة: كما في مفردات الراغب الاصفهاني «الدلالة المبينة للمحجة أي المقصد المستقيم»، وفي العقائد ما يحتاج به الله على العباد، فالأنبياء وبعثهم حجة لله على الخلق (فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)، والإمام المفروض من قبل الله على الناس أيضا حجة له عليهم.

المعصومين ﷺ جميعاً هم حجج الله على خلقه. يحتاج الله بهم على العباد.

صاحب الزمان:

وقد خاطبه والده الإمام الحسن العسكري بهذا وهو يودعه في آخر أيام حياته كما نقله الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة: «ابشر يا بني فأنت صاحب الزمان، وأنت المهدي، وأنت حجة الله على أرضه، وأنت ولدي ووصيي وأنا ولدتك وأنت محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ».^(١)

صاحب الغيبة:

فإنه قد ورد هذا اللقب في أكثر من رواية عن الإمام الرضا ﷺ أنه «الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده صاحب الغيبة»^(٢) «ومثلها حين قال: فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا.. قيل له: فمن القائم منكم أهل البيت قال: الرابع من ولدي ابن سيدة الاماء يظهر الله به الأرض من كل جور ويقدها من كل ظلم وهو الذي

(١) الغيبة ١/ ٢٧٣.

(٢) الوافي ٢/ ٣٨٠.

يشك الناس في ولادته وهو صاحب الغيبة قبل خروجه». ^(١)

بقية الله:

أيضا هو من ألقابه، كما ورد في الرواية عن الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام): «وَأَوَّلُ مَا يَنْطِقُ بِهِ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾» ^(٢) ثم يقول: أنا بقية الله في أرضه وخليفته وحجته عليكم فلا يسلم عليه مسلم إلا قال: السلام عليك يا بقية الله في أرضه..» ^(٣).

(١) جامع أحاديث الشيعة ١٤ / ٥٠٦.

(٢) هود / ٨٦.

(٣) كمال الدين ١ / ٣٣١.

الغيبة الصغرى للمهدي والسفراء الأربعة

تحدث عن غيبتي الإمام المهدي ﷺ روايات^(١) منها:

١. «للقائم غيبتان: إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة.
٢. لصاحب هذا الامر غيبتان: إحداهما يرجع منها إلى أهله والأخرى يقال: هلك، في أي واد سلك»

.....

(١) منها ما نقله ثقة الاسلام الكليني في الكافي ١/ ٣٤٠ بسند معتبر عن اسحاق بن عمار: للقائم غيبتان إحداهما قصيرة والأخرى طويلة؛ الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه. وفي أخرى في الكافي ١/ ٣٣٩ أيضا عن أبي عبد الله الصادق ﷺ قال: للقائم غيبتان، يشهد في إحداهما المواسم، يرى الناس ولا يرونه.

وفي ثالثة ١/ ٣٤٠ عن مفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: لصاحب هذا الامر غيبتان: إحداهما يرجع منها إلى أهله والأخرى يقال: هلك، في أي واد سلك، قلت: كيف نصنع إذا كان كذلك؟ قال: إذا ادعاها مدع فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله.

تتناول هذه الصفحات فترة الغيبة الصغرى، وتعريفاً مختصراً
عن السفراء الأربعة للإمام المهدي (عليه السلام)، خلال تلك الفترة.

ولأن الحديث هو في الدائرة الإمامية الشيعية، لذلك لن نحتاج
إلى الاستدلال على ولادة الإمام الحجة وكونها في زمان أبيه الحسن
بن علي العسكري (عليه السلام)، ولا الاستدلال على وجوده وبقائه حياً،
لفرض أن ذلك من المسلمات عند الإمامية، وأنها أنهيت من الناحية
الاستدلالية وبرهن عليها في مواضعها من علم الكلام، وسيرة
الإمام (عليه السلام).^(١)

(١) ولم تكن هذه العقيدة ولا الاستدلال عليها وليدة هذه الأيام بل قد ذكرها العلماء
في مصنفاتهم، وخصوصاً بمؤلفات مع بدء الغيبة الكبرى، فقد خصص الشيخ
الكليني المتوفى سنة ٣٢٩ هـ والذي عاصر الغيبة الكبرى فصلين في الكافي
خاصين بأحاديث الغيبة وما يرتبط بها أورد فيه ٣١ حديثاً، وقد أوردنا آنفاً بعضاً
منها. وعندما يأتي الدور إلى تلميذه محمد بن إبراهيم النعماني يكتب كتاباً خاصاً
مفصلاً في الغيبة من ما يقارب ٥٠٠ رواية توزعت على ٢٦ فصلاً. وبعده جاء الشيخ
الصدوق (ت ٣٨١ هـ) ليكتب كمال الدين وتمام النعمة حيث بحث فيه عن
«شخصية الإمام الغائب (عليه السلام) ووجوده وغيبته وما يؤول إليه أمره، كل ذلك بالأخبار
التي وردت عن المعصومين (عليهم السلام)»، وتصدى بعد ذلك الشيخ المفيد محمد بن النعمان
(ت ٤١٣ هـ) فكتب (٤) رسائل في الغيبة، وأعقبه تلميذه الشريف المرتضى علي
بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦ هـ) فكتب (المقنع في الغيبة) وتلاه شيخ الطائفة
محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ليكتب كتابه المعروف: الغيبة.. وهكذا.
ومن أجمل الكتب التي صدرت مؤخراً في شؤون غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)؛ موسوعة
الإمام المهدي للمرحوم الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر (ت ١٩٩٩ م) في
أربعة أجزاء: تاريخ الغيبة الصغرى، تاريخ الغيبة الكبرى، تاريخ ما بعد الظهور، اليوم
الموعود.

وإنما سيتم تناول هاتين القضيتين (الغيبية الصغرى وسفراء الإمام عليه السلام). ونذكر هنا النقاط التالية:

أولاً:

يعتقد الإمامية أن الإمام الثاني عشر^(١) من أئمة أهل البيت محمد بن الحسن العسكري غاب عن الأنظار، في يوم ٨ ربيع الأول سنة ٢٦٠ هـ وهو نفس اليوم الذي توفي فيه أبوه الحسن بن علي العسكري عليه السلام^(٢)، ونفس اليوم الذي تصدى فيه بشكل واضح ورسمي وكيل أبيه ووكيله عثمان بن سعيد العمري للسفارة بينه

(١) يعتقد الإمامية أن ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله مشهوراً، من أن: «الأئمة اثنا عشر من قريش» لا تنطبق بنحو صحيح إلا على الأئمة الإثني عشر (علي بن أبي طالب وولده وهم: الحسن والحسين بن علي سبطا النبي، وعلي بن الحسين السجاد، ومحمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وموسى بن جعفر الكاظم، وعلي بن موسى الرضا، ومحمد بن علي الجواد، وعلي بن محمد الهادي، والحسن بن علي العسكري، و الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي عليه السلام).

(٢) الإمام الحسن بن علي العسكري ولد في ربيع الآخر سنة ٢٣٢ هـ. تولى الإمامة بعد شهادة والده الإمام علي الهادي عليه السلام في سنة ٢٤٥ هـ. شهد عصره ألوانا من الكبت السياسي والفكري مارسها الحكام العباسيون ضده وضد أتباعه من شيعة أهل البيت، كان للإمام العسكري دور متميز في حركة الأمة يتمثل في إعدادة الأمة لمرحلة الغيبة، وهو في ذلك كان عليه أن يمارس دوراً ذا زاويتين حادتين: التمويه على الجهاز الحاكم وإخفاء ولادة الإمام المهدي عليه السلام، وكانت المهمة عسيرة إذ جندت السلطة كل أعوانها لمراقبة ورصد ذلك الإمام المنتظر للقضاء عليه. ومن جهة أخرى كان لا بد من التصريح بولادته، بل إظهاره للمقربين من أتباع الإمام ووكلائه. وبعد أن سجن عدة مرات استشهد سنة ٢٦٠ هـ، مسموماً وعمره ٢٨ سنة. ودفن في سامراء.

وبين أتباعه، والنيابة الخاصة عنه. واستمرت هذه الغيبة إلى منتصف شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وهي أقل من سبعين سنة بأشهر هذه هي فترة الغيبة الصغرى.

وعندما نقول غيبة الإمام، فليس المقصود من ذلك هو الاختفاء البدني، بأن ينزل كما زعموا في سرداب ويختفي فيه! أو يكون في بستان ولا يخرج منه^(١)، بل الذي يستفاد من الروايات أنه غيبة عنوان، حتى مع حضور الشخص، بمعنى أن الشخص قد يكون بين الناس يرونه ويراهم ويعاشرهم ويعاملونه، ولكنهم غير مستحضرين لشخصيته وغير عارفين بحقيقته، وهذا ليس خاصاً بالإمام المهدي ﷺ، بل حصل لغيره من الأنبياء^(٢) والأوصياء والأولياء.

فإن النبي إبراهيم ﷺ عاش في بيت عمه صانع الأصنام، ومع رؤية جنود نمرود إياه ذاهباً وجائياً إلا أنهم لم يكونوا يعلمون أنه بطل التوحيد الذي سيحطم أصنامهم! نعم كانت الفترة الأولى من حمل أمه به ورضاعه وصباه فترة غيبة جغرافية وبدنية فكان مغيباً

(١) وأبعد من ذلك ما زعمه بعضهم تارة من أنه في جزيرة بعيدة تسمى الجزيرة الخضراء، وأخرى بأنه في مثلث برمودا!! ولا دليل على ذلك كله.

(٢) عرض لبعضها الشيخ محمد بن علي بن بابويه (الصدوق) في كتابه كمال الدين وتمام النعمة ج ١ / ١٥٥؛ فقد ذكر تحت عنوان خاتمة الأبحاث: باباً في غيبة إدريس النبي، وآخر في غيبة النبي صالح، وثالث في غيبة النبي إبراهيم وخامس عقده لغيبة نبي الله يوسف، ثم غيبة موسى النبي ثم غيبة الأوصياء من بعده.

عن أنظار أهل السلطة. (١)

وأوضح من حال النبي إبراهيم، حال نبي الله موسى، فإنه تربى في قصر فرعون زمانه يغاديه ويرأوحوه في كل يوم، ولا ريب أنه لو كان يعرف شخصيته وما تنطوي عليه نفسه ومستقبل أيامه لكان قد قتله حينه! فمع كون النبي مع عدوه في مكان واحد، يراه ويحادثه إلا أن عنوانه كان غائباً عن فرعون.

إلى أن صرح برسالته، وطلب منه أن يرسل معه بني إسرائيل وأن لا يضطهدهم! هنا استجمع فرعون كل تاريخه مع موسى، وقال مستغرباً: ﴿قَالَ أَلَمْ نُزَكِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَكِشْتَ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنِينَ﴾. (٢)

وإن الغيبة العنوانية في قصة نبي الله يوسف قد تحققت حتى بالنسبة لإخوانه الذين ظلوا يترددون عليه، ويتعاملون معه

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٢٥٩/١ ابن الجوزي: فلما أراد الله تعالى إظهار إبراهيم قال المنجمون لنمرود: إنا نجد في علمنا أن غلاماً يولد في قريتك هذه يقال له إبراهيم يفارق دينكم ويكسر أوثانكم في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا، فلما دخلت السنة المذكورة بعث نمرود إلى كل امرأة حامله بقريته فحسبها عنده ولم يعلم بحمل أم إبراهيم، فجعل لا يولد غلام في ذلك الشهر إلا ذبحه. فلما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلاً إلى مغارة ثم ولدت إبراهيم فيها وأصلحت من شأنه ثم سدت عليه المغارة ثم رجعت إلى بيتها وكانت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل، فتجده يمص إبهامه قد جعل الله رزقه في ذلك.

(٢) الشعراء: ١٨.

ويقابلونه، وهم يظنون أنفسهم أمام (عزيز مصر ورئيس وزرائها) بينما هم في الواقع يتعاملون مع أخيهام وابن أبيهم وهو الذي رموه في بئر ليموت! إلى أن أذن الله له بأن يكشف عن شخصيته الحقيقية ويخرج من العنوان البديل إلى الشخصية الأصلية، حينها سألوه: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾؟ ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.^(١)

وقد عُذَّ من سنن الأنبياء التي تحققت في المهدي: سنة الغيبة.

بل قد وجدنا نحواً من أنحاء الغيبة الاختيارية، والانقطاع عن الناس، وجدناها في حياة الأئمة المتأخرين (والد المهدي: الإمام الحسن العسكري وجده الإمام علي الهادي) وقد يكون ذلك بغرض تعويد أصحابهم على العمل ضمن إطار البصائر العامة ولو لفترة مؤقتة وعدم الاعتماد على الرجوع إلى الإمام الحاضر بشكل مستمر!

ثانياً:

إنه يذكر في مبررات تلك الغيبة تاريخياً، وصول العنف العباسي المعادي لأهل البيت عليهم والسلام إلى أقصى درجاته، والتخوف على حياة الإمام المهدي من الاستئصال، والانهاء من قبل أعدائه الحاكمين.

ولعل المقياس الذي لا تخطئه العين الناظرة، هو أعمار الأئمة السابقين للإمام (عليه السلام) وسبب شهادتهم، فلو قارنّا بين الإمام الحسين (عليه السلام) أو ابنه السجاد، بل حتى مثل الإمام الصادق (عليه السلام). وجدنا أعمارهم مع أنهم قتلوا في ظروف مختلفة من قبل حاكميهم تتراوح ما بين الثامنة والخمسين والثانية والستين، وأما عندما نأتي إلى الطرف الأخير من قائمة المعصومين (عليهم السلام)، سوف نجد أن الإمام محمدا الجواد اغتيل بالسم وهو ابن ٢٦ سنة!! والإمام الحسن العسكري عمره ٢٨ سنة!! وهذا يشير إلى مستوى مرتفع من العنف السلطوي، بحيث أنه لا يتحمل شخصية مسالمة، لم يعرف عنها معارضة سياسية ظاهرة فضلا عن العسكرية كالأئمة المذكورين!! فلم يكتفِ أولئك الحاكمون بالمراقبة، ولا بالعزل الاجتماعي، بل ولا بالسجن بالنسبة لبعض الأئمة وإنما وصلوا إلى إنهاء حياة الأئمة بقتلهم بالسم.

ولذا يعتقد أنه لو سار الإمام المهدي سيرة آبائه من الظهور والتصدي العلني للأمر لكان ينتهي أمره كما انتهت إليه أمورهم! من هنا كانت الغيبة وعدم الظهور أمراً ضرورياً ولازماً.

ثالثاً:

إن الغيبة العنوانية التي تحدثنا عنها، لم تكن تساوي انعدام الدور!! فقد مكث الإمام المهدي (عليه السلام) ما يقارب سبعين سنة في الغيبة الصغرى، وكان فيها يمارس مهام الإمامة وإن كان من وراء

حجاب وبغير ظهور مباشر.

وقضية الادارة غير المباشرة بل المحتجبة، أصبحت اليوم مفهومة أكثر من أي وقت مضى، فإن الشركات العملاقة، ودوائر المخابرات العظمى، والحركات السياسية والعسكرية في العالم، تدار بواسطة رؤساء غير ظاهرين، وتحرك من خلال إدارات غائبة عن الظهور المباشر نعم هي تحتاج إلى بيئة اجتماعية متقدمة لا تربط قبول الشخص وقوة إدارته بكثرة ظهوره العلني! وفي الحالة التي نحن فيها تم تعويد المجتمع الشيعي منذ أيام الإمام علي الهادي على قيادة قد تختفي لبعض الوقت وتغيب أو تُعَيَّب، ومارس الأئمة عليهم السلام في ذلك الوقت عبر وكلائهم ما سيحصل مستقبلاً أثناء الغيبة الصغرى بل الكبرى للإمام المهدي.

ولم يتغير على شيعة أهل البيت شيء حتى الخط الذي كان يكتب به الأجوبة في زمان الإمام العسكري كان يخط به أيضاً أجوبة الناس في زمان الإمام الحجة المهدي حتى لا يبقى أي نوع من أنواع الشك والترديد.

رابعاً:

كان الإمام المهدي عليه السلام في فترة الغيبة الصغرى حريصاً على إزالة كل منفذ من منافذ الشك والترديد في أمره، فقد كان يخرج على بعض أصحابه في أزمنة ومواضع يختارها، ويظهر لهم شخصيته

وربما أخبرهم بسبب زيارته لهم، أو استقبله إياهم، فقد أخرج الحر العاملي^(١) بإسناده عن عيسى بن محمد الجوهري في حديث أنه خرج إلى الحج واعتلّ علّة فاشتهدى السمك والتمر، وبلغه أن صاحب الزمان ﷺ ظهر بصاريا، فصار إليها فلما صلى العشاء قال له خادم: ادخل فدخل القصر فإذا مائدة فأجلسه عليها، وقال له: مولاك يأمرك أن تأكل ما انتهيت في علتك، فنظر فإذا سمك حارٌّ يفور وتمرٌ ولبن، قال: فقلت في نفسي: عليل وسمك وتمر ولبن؟

فصاح بي يا عيسى أتشكّ في أمرنا أو أنت أعلم بما ينفعك وما يضرّك؟ فأكلت من الجميع وكلما رفعت يدي لم يتبيّن موضعها فيه، ووجدت أطيب ما ذقته في الدنيا فأكلت كثيرا حتى استحييت فصاح بي لا تستح يا عيسى فإنه من طعام الجنة، فأكلت فقلت: حسبي! فصاح بي أقبل إليّ، فقلت في نفسي: لم أغسل يدي؟ فصاح بي: وهل لما أكلت غمّر؟ فشملت يدي فإذا هي أعطر من المسك والكافور، فدنوت منه فبدا لي نور غشى بصري.

ورهبته حتى ظننت أن عقلي قد اختلط، فقال لي: يا عيسى! ما كان لك أن تراني لو لا المكذّبون القائلون أين هو؟ ومتى كان؟ وأين ولد؟ ومن رآه؟ وما الذي خرج إليكم منه؟ وبأيّ شيء نبأكم؟ وأيّ معجز أتاكم؟ أما والله لقد دفعوا أمير المؤمنين مع ما روهه وقدموا عليه، وكادوه وقتلوه، وكذلك فعلوا بآبائي ﷺ ولم يصدّقوهم،

ونسبوهم إلى السحرة والكهنة وخدمة الجنّ إلى ما تبين.

إلى أن قال: يا عيسى فخبّر أوليائنا ما رأيت، وإياك أن تحبر عدونا فتسلبه فقلت: يا مولاي ادع لي بالثبات، فقال لي: ولو لم يثبتك الله ما رأيتني، فامض بحاجتك راشداً، فخرجت وأنا أكثر حمداً لله وشكراً.

وكان هكذا في أيام غيبته الصغرى والأولى، ومثل ذلك كثير في الغيبة الثانية والكبرى.

ولا ينحصر الإمام في أفراد معينين، بل يكون في حياة المؤمنين، ناظراً ومراقباً ومتحرّكاً، كما رواه الشيخ الصدوق رحمته الله في كمال الدين بسند معتبر عن محمد بن عثمان العمري، النائب الثاني للإمام المهدي رحمته الله، أنه قال: (والله إن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم كل سنة فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه).

الأمر الثاني: ترافق زمان الغيبة الصغرى مع تكامل تنظيم التراث الحديثي المرتبط بالتشريع والعقائد في مدرسة أهل البيت، وذلك بصدور كتاب الكافي^(١) لثقة الاسلام الكليني (ت ٣٢٩ هـ).

(١) الكافي: لثقة الاسلام محمد بن يعقوب؛ من أهم الكتب التي يعتمد عليها فقهاء الإمامية ومتكلموهم في الاستدلال، جمع فيه حوالي ١٦ ألف حديث (يختلف الرقم ببعض الاعتبار التي أشرنا إليها في فصل عن الشيخ الكليني من كتابنا: من أعلام الإمامية) وهو بهذا العدد يكون حوالي أربعة أضعاف صحيح البخاري ومن حيث التقسيم العام فهو ينقسم إلى الأصول؛ وفيه مباحث العلم والجهل، ثم بحوث

وبإطلالة سريعة ولييان أهمية هذا الأمر نشير إلى أن مما امتازت به مدرسة أهل البيت أنهم لم يتوقفوا عن تدوين الحديث وكتابته منذ أيام النبي محمد ﷺ، واستمر ذلك في زمان المعصومين (عليه السلام)، وعلى خلاف مدرسة الخلفاء التي نقل علمائها أحاديث تشير إلى التوقف عن كتابة الحديث النبوي والاقتصار على القرآن، وأصبح هذا قراراً رسمياً سلطانياً لا يُعصى إلى زمان الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أي بعد قريب قرن من هجرة النبي صلى الله عليه وآله، كان هناك توجيه من النبي وأهل البيت بعده إلى كتابة الحديث والاحتفاظ بالروايات لأنهم سيحتاجونها فيما بعد.

على أثر هذا فقد اجتمع آلاف الأحاديث عند أصحاب الأئمة، وتلامذتهم، بعضها عرف باسم الأصول الأربعمئة، وقد سدت هذه الأحاديث فراغا كبيرا في ميدان النصوص التي يعتمد عليها الفقهاء في الاستنباط والاستدلال.

إلا أنها كانت متوزعة ومتفرقة من الناحية الجغرافية بحسب سكن أصحابها ومعيشتهم، ومتفرقة أيضا بحسب عناوينها حيث أن اهتمامات كل راو ومصنف لا تتفق بالضرورة مع كل اهتمامات

التوحيد وصفات الله وكيفية معرفته، ثم مباحث الحجّة وفيها أحاديث عن مقامات الحجج الإلهية وصفاتهم وعلمهم ثم النصوص على الأئمة الاثني عشر وأبواب تواريخهم.. ومن أقسامه: الفروع يشتمل على الأحاديث الواردة في أبواب الفقه من عبادات ومعاملات؛ وثالث الأقسام: الروضة وتشتمل على الخطب والوصايا والمواعظ الأخلاقية الهادفة إلى تزكية النفس.

غيره من الرواة،^(١) فكان جمع هذه الروايات من مصادرها، وتنظيمها في الأبواب الأساسية (أصول العقائد، الفروع الفقهية، الأخلاق والمواظ) عملاً في غاية الأهمية.

لا نقول إن ذلك تم بترتيب الإمام عليه السلام حتماً وإنما نتحدث عن الترافق الزمني وحصول هذا العمل في زمان غيبته الصغرى سلام الله عليه.

الأمر الثالث: أنه تم إرساء نظام السفارة الخاصة خلال الغيبة الصغرى، وهو تطور عن نظام الوكالة الذي كان سائداً في أزمنة المعصومين السابقين على الإمام الثاني عشر، ولنظام الوكالة عن الإمام الحاضر خصائص.^(٢) ونظام السفارة هذا (النيابة الخاصة) هو مقدمة لنظام النيابة العامة الذي سوف يصبح فيما بعد من أهم مقومات الكيان الشيعي وسيُنظم فيما يعرف بالمرجعية الدينية (بالمعنى الخاص عند الإمامية).

ومن الفروق بين النيابة الخاصة في زمان الغيبة الصغرى والأخرى العامة في الغيبة الكبرى، أن نواب الإمام في الصغرى معينون منه بالاسم، ولذا لا يجوز لأحد منافستهم أو مزاحمتهم أو التصدي للمهام العامة للشيعية دون إجازتهم وفي عَرَضهم، مهما

(١) يشهد لذلك أننا وجدنا بعض الرواة لديهم أشبه ما يكون بتخصص في أسئلة الحج ورواياته، ولدى آخرين بحسب الابتلاء أسئلة كثيرة في المعاملات، وهكذا!

(٢) للاطلاع على هذا النظام وخصائصه ووكلاء الأئمة يراجع كتابنا: نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الإمامية

كانت مرتبته العلمية أو الاجتماعية عالية.^(١)

وهذا بخلاف النيابة العامة في زمان الغيبة الكبرى فإن من توفرت فيه العناوين العامة التي عينتها الروايات، فهو أحد من يتم الرجوع إليهم حيث لا تعيين بالاسم وإنما التعيين بالصفة والعنوان مثل (رواة حديثنا)، (الفقهاء)، بصفات (صائنا لنفسه، حافظا لدينه مخالفا لهواه)

النواب الخاصون:

عين الإمام الحجة عليه السلام أربعة من النواب والسفراء الخاصين له طول فترة الغيبة الصغرى (أقل من سبعين عاما) وكانوا بهذا الترتيب:

١. عثمان بن سعيد العمري (ت حوالي ٣٦٥ هـ)

وكان عثمان هذا الذي يلقب أحيانا بالسَّمان والزيات وكيلا لعدة أئمة، فهو وكيل للإمام علي الهادي ثم لابنه الحسن العسكري

(١) تصرف الحسن بن متيل عندما تم ترشيح الحسين بن روح ولمّا حضرت العمري الوفاة كان جعفر بن أحمد بن متيل القمي جالسا عند رأسه يسأله ويحدثه، وأبو القاسم بن روح عند رجليه، وكان جعفر بن متيل لم يكن قد اطلع على وصية أبي جعفر إلى أبي القاسم، فالتفت أبو جعفر إليه وقال له: أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح. قال جعفر بن متيل: فقم من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحولت إلى عند رجليه. راجع كمال الدين ١/ ٥٠٣

وأخيراً لمدة خمس سنوات تقريباً للإمام الحجة (عليه السلام)، وجاء توثيقه ومعه ابنه السفير الثاني في رواياتهم (عليه السلام).

أحمد بن إسحاق، عن أبي الحسن يعني عن الإمام الهادي (عليه السلام) قال: سألته، وقلت: من أعامل؟ وعمّن آخذ وقول من أقبل؟ فقال: «العمري ثقتي، فما أدّى إليك عنّي فعنّي يؤدّي، وما قال لك عنّي فعنّي يقول، فاسمع له وأطع، فإنه الثقة المأمون»، وعن أحمد بن إسحاق أيضاً، أنّه سأل أبا محمّد (عليه السلام) يعني الإمام العسكري (عليه السلام) عن مثل ذلك؟ فقال: «العمري وابنه ثقتان، فما أدّى إليك فعنّي يؤدّيان وما قال لك فعنّي يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فإنهما الثقتان المأمونان».

٢. محمد بن عثمان بن سعيد العمري

ويكنى بأبي عمرو (ت ٣٠٤ هـ) وهو السفير الثاني ويعتبر الأبلغ تأثيراً في إدارة شؤون شيعة أهل البيت فترة الغيبة الصغرى لأن مدة سفارته ونيابته عن الإمام الحجة استمرت قرابة أربعين سنة (من بعد وفاة والده حوالي سنة ٢٦٥ هـ إلى وفاته ٣٠٤ هـ)، وكان من أيام والده في رحاب العمل مع الأئمة ومحل ثقتهم، ولذلك فقد ورد الثناء عليه وتركته منذ أيام أبيه في زمان الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، كما يظهر في الرواية السابقة التي يرويها أحمد بن إسحاق.

وإنها لنعمة عظيمة أن تكون أسرة حاملة لشرف النيابة الخاصة عن الإمام بل عن آبائه في اثنين من رجالها، وفي أعظم وأكبر فتراتهما (حوالي ٤٥ سنة فترة الغيبة الصغرى) ويضاف إليها ما قبلها في أيام الإمامين الهادي والعسكري.

وتوسع هذا السفير المكرم في عمله التبليغي والارشادي وإدارة شؤون الشيعة إلى حد أنه كان له في بغداد وحدها عشرة وكلاء. كان منهم من أصبح فيما بعد نائبا خاصا للإمام المهدي وهو الحسين بن روح، وكان فيهم من هو على ذلك المستوى من حيث احتوائه على صفات الوكيل والسفير بدرجة دون ابن روح، وكان وأمثاله على درجة عالية من التحرز للإيمان، والزهد في الدنيا.^(١)

٣. الحسين بن روح النوبختي (ت ٣٢٦ هـ)

أخبر عن نيابته عن الإمام الحجة عليه السلام، السفير الثاني مراراً وفي

(١) الطوسي؛ محمد بن الحسن شيخ الطائفة؛ كتاب الغيبة ٣٦٩: قال (ابو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي): وقال مشايخنا: كنا لا نشك أنه إن كانت كائنة من أمر أبي جعفر (محمد بن عثمان) لا يقوم مقامه إلا جعفر بن أحمد بن متيل أو أبوه لما رأينا من الخصوصية (به) وكثرة كينونته في منزله، حتى بلغ أنه كان في آخر عمره لا يأكل طعاماً إلا ما أصلح في منزل جعفر بن أحمد بن متيل وأبيه بسبب وقع له، وكان طعامه الذي يأكله في منزل جعفر وأبيه. وكان أصحابنا لا يشكون إن كانت حادثة لم تكن الوصية إلا إليه من الخصوصية (به) فلما كان عند ذلك وقع الاختيار على أبي القاسم (الحسين بن روح) سلموا ولم ينكروا، وكانوا معه وبين يديه كما كانوا مع أبي جعفر رضي الله عنه، ولم يزل جعفر بن أحمد بن متيل في جملة أبي القاسم رضي الله عنه وبين يديه كتصرفه بين أبي جعفر العمري إلى أن مات رضي الله عنه.

مناسبات مختلفة فمنها: ما أخبر عنه أبو عبد الله جعفر بن محمد المدائني وكان يأتي بالأموال إلى السفير الثاني فأمره بأن يعطيها للحسين بن روح، فتوقف في ذلك إلى أن رجع إلى الشيخ أبي جعفر الذي قال له وهو مغضب: قُمْ عافاك الله فقد أقمت أبا القاسم حسين بن روح مقامي ونصّبته منصبي، فقلتُ: بأمر الإمام فقال: قُمْ عافاك الله كما أقول لك، فلم يكن عندي غير المبادرة.

ومنها ما كان وهو في آخر ساعات حياته، فإنه قد دعا وكلاءه في بغداد، وكبار شخصيات الشيعة، وبينما هم قد أهدقوا بفراشه، سأله جعفر بن أحمد بن متيل، وكان الكثير من الوكلاء يتوقع أن يكون جعفر هذا هو السفير الثالث: إذا حدث بك أمر الله فلمن الأمر بعدك؟ قال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عليه السلام والوكيل له والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك أمرت وقد بلغت.

ويظهر من مجمل ما ذكر عنه أنه كان في غاية الحكمة في إدارة الصراع مع الحاكمين العباسيين بل مع أصحاب الخط المخالف لأهل البيت والذين كانوا في ذلك الوقت على درجة غير عادية من التطرف، فكان لا بد من استعمال التقية بأفضل صورها وهو ما اتقنه الحسين بن روح.

فمع أنه كان سفير الإمام عليه السلام وعبره تأتي الرسائل للإمام ويتلقى

أجوبتها لأصحابها، فإنه كان معظماً عند علماء السلطة الرسميين، وكان يدخل عليه عشرة؛ تسعة منهم يعادونه وواحد مشكك، فيسمعون كلامه ويخرجون تسعة منهم يؤيدونه وواحد منهم مشكك!

يضاف إلى ذلك قوة ارادته في التكتّم على معلوماته على الإمام الحجة ومكانه، مع أنه يلتقيه ويعرف مكانه.. وهذا ما أشار إليه أبو سهل النوبختي وهو عالم متقدم في الشيعة، ومعاصر للحسين، في جواب من سألّه عن سر انتخاب الإمام للحسين دون أبي سهل.. فقال أبو سهل النوبختي حين سئل: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة لعلّي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه.^(١)

استمرت مدة سفارته من (٣٠٤-٣٢٦ هـ) ويقال إنه تخللها فترة تم فيها احتجازه لنحو ثلاث سنوات.

٤. علي بن محمد السمرّي (ت ٣٢٩ هـ)

وكانت مدة سفارته قصيرة (٣ سنوات) وهي أشبه بمرحلة انتقالية إلى الغيبة الكبرى، لذلك لم يحصل فيها شيء استثنائي

(١) الغيبة؛ للشيخ الطوسي ١/ ٣٩١

خصوصاً وأن الخلافة كانت في سامراء، وهو كان في بغداد إنما هو تمهيد للغيبة الكبرى حيث سيتعامل الناس مع العلماء الفقهاء والمجتهدين، وبعد ثلاث سنوات جاءه الخبر قبل وفاته بستة أيام بواسطة توقيع من الإمام (عليه السلام): «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرِيُّ أَعْظَمَ اللَّهُ أَجَرَ إِخْوَانِكَ فِيكَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَاجْمَعْ أَمْرَكَ وَلَا تَوْصِ إِلَى أَحَدٍ يَقُومُ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ الثَّانِيَةُ، فَلَا ظَهْوَرَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَذَلِكَ بَعْدَ طَوْلِ الْأَمَدِ وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَامْتِلَاءِ الْأَرْضِ جَوْرًا، وَسَيَأْتِي شِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمَشَاهِدَةَ، أَلَا فَمَنْ ادَّعَى الْمَشَاهِدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السَّفِيَانِيِّ وَالصَّيْحَةِ، فَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

دور الإمام المهدي في الغيبة الكبرى

ليكون المقال ذا ثمرة، فلا بد أن يتم تحديد الفئة المستهدفة به والتي يوجه إليها، فإن من غير الطبيعي مثلاً أن يوجه هذا الحديث لغير المسلم الذي لا يعتقد بنبوّة رسول الله فضلاً عن إمامة الأئمة، حتى يبحث معه في دور الإمام الأخير، وهكذا ليس من الطبيعي أن يتم توجيه هذا الحديث لغير المتممي إلى مذهب أهل البيت، حيث أنه لا يعتقد بوجود وحياة الإمام المهدي، حتى يبحث معه عن دوره في هذه الحياة!!

إنما نحن نتحدث مع الإمامي الاثني عشري الذي يعتقد بإمامة الإمام المهدي ﷺ، وسائر شُرّوونه، وأنه مولود منذ سنة ٢٥٠ هـ، وأنه حي لكنه غائب بصفته عن مباشرة الناس. والمفروض أنه تمت إقامة الأدلة على تلك الاعتقادات.

مصطلحات:

سوف يتكرر مصطلح (غيبة الإمام المهدي) في هذا المقال، ولذا يحسن توضيحه»

(غيبة الإمام المهدي) المقصود بها هنا: ليس غيبة جغرافية أو بدنية، بمعنى أنه لا يستطيع أحد رؤيته لاختفائه مثلاً، أو لكون بدنه بنحو خاص، وإنما المقصود هو غيبته العنوانية، واختفاؤه بصفته، فقد يكون انسان حاضرا في مجتمع من الناس ولكنهم لا يعرفون صفته ودوره ومستواه، وهذا يشبه ما ورد من أن الله أخفى ثلاثة في ثلاث... وأخفى وليه بين عباده.. فلا يكاد أحد يعرف هذا الشخص بكونه من أولياء الله وإن كان يتعايش معهم. وما ورد من أنه ﷺ يشهد الموسم (الحج) فيراهم ولا يرونه^(١) ويعرفهم ولا يعرفونه. وورد التمثيل بقصة نبي الله يوسف، حيث كان يعرف الناس ولا يعرفونه، بل لم يكن يعرفه حتى إخوته مع أنهم يتعاملون معه مباشرة بعدما صار عزيز مصر.

والغيبة الكبرى: هي فترة الاختفاء (بالنحو السابق) التي تبدأ من سنة (٣٢٩ هـ) والمستمرة إلى أيام ناهذه.

والدور: ما يعم الفعل الاختياري للإمام، والنتيجة المترتبة على وجوده، وإن لم تكن باختياره وإنما بالفعل الغيبي.

مقدمات:

١. يظهر أن هذا السؤال، قد أثير في مرحلة مبكرة جداً، تصل إلى قرابة قرنين من الزمان قبل ولادة الإمام، فإن هناك رواية عن النبي المصطفى في صورة سؤال عن الفائدة المترتبة على وجود الإمام مع غيبته، وأنه كيف يتم الانتفاع به.

ومع التأمل في الرواية، وظلالها، يمكن أن نستفيد فكرة وهي أن الحديث عن الإمام، وعن تفاصيل قضيته كان موجوداً لدى المسلمين أو بعضهم، لا في أصل إمامته أو إمكان الغيبة، وإنما في تفاصيل ذلك. وفي هذه الرواية وغيرها وهو كثير قد تعرض له العلماء الذين كتبوا في بحث الغيبة.. رد على بعض من قال من المتأخرين من أن العقيدة المهدوية هي رد فعل على الظروف الصعبة التي عاشها الشيعة في أزمنتهم المختلفة فكانوا يحتاجون إلى (أمل) يخرجهم من تلك الظروف ولو لم يكن حقيقياً، فكانت فكرة المهدي وشخصيته.

إنه مع التوجه إلى أن الروايات في المهدي قد صدرت في عصر النبي ﷺ، وأمير المؤمنين والحسينين (عليه السلام)، لا يكون هناك من معنى للحديث عن أنها رد فعل حدث في أزمنة متأخرة! أو أن الشيعة على أثر الأوضاع السياسية الضاغطة (ابتكروا) فكرة المهدي وولادته وغيبته!

٢. ما سيأتي من الحديث سيفترض أنه يناقش القضايا من داخل المنظومة العقدية للشيععة الإمامية، وبنفس الأدلة التي تساق فيها، وبالتالي فسيستفيد من الكليات التي تمت مناقشتها والاستدلال عليها في علم الكلام عندهم، كما سيستفيد من الأدلة النقلية ضمن المنهج المعمول به عندهم.. ولذا قد لا يكون مفيداً لمن لا يعتقد بهذه المنظومة أو لا يصحح هذا المنهج الاستدلالي.

وبعد هذه المقدمات نقول، إنه قد وردت روايات، يتم السؤال فيها عن وجه الانتفاع بالإمام المهدي في غيبته، والسؤال بحد ذاته يقتضي أن تكون أصل قضية الإمام المهدي ثم غيبته، ومعنى ذلك كونه مولوداً وحيّاً، ولكنه غائب.. لا أنه سيولد في آخر الزمان كما تذهب إليه مدرسة الخلفاء.. يقتضي التسليم بهذه الأمور والمفروغة من تماميتها.

فقد سئل النبي ﷺ عن كيفية الانتفاع بالإمام المهدي ﷺ في غيبته، فقال: «إي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها السحاب»^(١).

(١) حدثنا غير واحد من أصحابنا قالوا: حدثنا محمد بن همام، عن جعفر بن محمد بن مالك الفزازي قال: حدثني الحسن بن محمد بن سماعة، عن أحمد بن الحارث قال: حدثني المفضل بن عمر، عن يونس بن ظبيان، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قلت: (يا رسول الله عرفنا الله

وعن الصادق (عليه السلام) في حديث.. ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله. قال: سليمان، فقلت للصادق (عليه السلام): فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب^(١).

وروي أنه خرج من الناحية المقدسة إلى إسحاق بن يعقوب على يد محمد بن عثمان: (وأما وجه الانتفاع بي في غيبي، فكالانتفاع بالشمس إذا غيبها عن الأبصار السحاب وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء).^(٢)

ويلحظ في التوقيع الأخير، أن هناك نهياً عن تكلف معرفة الأسباب الكامنة وراء الغيبة، وأنها لماذا؟ وربما يكون ذلك عائداً

ورسوله، فمن أولو الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال (عليه السلام): هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين (من) بعدي أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيتَه فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمعي وكنتي حجة الله في أرضه، وبقيته في عبادته ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه.. إلى أن سأله عن فائدته مع غيبته فأجابه بما ذكر في المتن.. كمال الدين ١ / ٢٥٣.

(١) إكمال الدين ١ / ٢٠٧.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٤٨٥، الإحتجاج ٢ / ٢٨٤.

إلى عدم الفائدة في التفتيش عن تلك الأسباب، لأنه لا يرتبط أمر الاعتقاد بالقادة الالهيّين، بمعرفة تفاصيل أدوارهم الظاهرة أو الخفية، فهل يلزم أن نعرف ماذا به الخضر مثلاً وهو حي، على المعروف عند المسلمين، حتى نعتقد به؟ ولولا أن القرآن نقل عنه بعض القصص مع موسى، لما كان لنا طريق لنعرف ماذا يقوم به؟ وهذه القصص بالنسبة لنا تعتبر من الأمور الماضية.. وأما سائر أموره الحاضرة والفعليّة، فلا نعلم عنها شيئاً...

فهذه الروايات الثلاث يلحظ فيها توجه واحد وهو تشبيه فائدة الإمام المهدي، مع كونه غائباً، بفائدة الشمس إذا جللها وغطّاها السحاب.. وكأن هذه الروايات تريد أن تقول:

إنه لا ربط بين الغيبة وعدم الدور: فمن الممكن أن يكون شخص ظاهر المثل أمام الناس ومع ذلك، غائب الشخصية والعنوان وهو يمارس دوره بكفاءة تامة، وقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلاً بالنبّي يوسف بن يعقوب (عليه السلام): فإنه كان يدير بلداً بحجم مصر، ويدبر اقتصاداً بسعة اقتصادها، وكان الرجل الثاني بعد ملكها، ولكنه لم يكن معروفاً لا للملك ولا حتى لإخوته الذين جاؤوا (فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ)! هذا في القديم.

وأما في العالم المعاصر فقد اتضحت لكل متأمل، فكرة أن الغيبة (لا سيما العنوانية) لا تمنع قيام الشخص بأدواره المختلفة، فإن فكرة الحكومة الخفية في العالم الآن أوضح من الماضي،

(المخابرات، المنظمات العالمية، الدولة العميقة)، بل إن الشركات الكبرى تدار من وراء أضرار الكمبيوتر على يد أناس لا يعرفهم أغلب العاملين في نفس هذه الشركات فضلاً عن غيرهم!

والمثال الذي ورد في الروايات الثلاث، وهي صادرة في عصور مختلفة تمتد إلى حوالي قرنين ونصف من الزمان، هو التمثيل بالشمس إذا غيبتها السحاب.

١. لولا الحجة لساخت الأرض:

يستفاد من كثير من الروايات أن هناك ارتباطاً بين وجود الحجج الإلهيين وبين ثبات الأرض واستقامتها، وعدم انهيارها. ولقد صارت هذه الفكرة من المسلّمات عند الإمامية حتى أنها يستدل بها ولا يستدل عليها، واعتمدوا في ذلك على الروايات الكثيرة الواردة عن المعصومين، فمن ذلك.

هل معناها الفساد التشريعي لأهل الأرض أو التكويني لها؟

وقد اختلف العلماء في النظرة إلى مفاد هذه الأحاديث فهل المقصود منها، الفساد التشريعي، واختلال القانون والنظام، وبعد الناس عن شريعة الله ﷻ؟ أو أن المقصود منها هو الفساد التكويني بمعنى أن الكون في وجوده وبقائه مرتبط بوجود الحجة الإلهي (وهو في هذا الزمان صاحب العصر الإمام الثاني عشر محمد بن

الحسن)؟، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى جعل ارتباطاً بين بقاء الأرض وبين وجود النبي أو الإمام.

فمما يشير إلى المعنى الأول وهو الفساد التشريعي بعدم وجود الحجة.

ما رواه في الكافي بسند معتبر^(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام، كيما إن زاد المؤمنون شيئاً ردهم وإن نقصوا شيئاً أتمه لهم.

وهو واضح في أن المقصود من وجود الإمام عليه السلام، هو أن يرد الإمام المؤمنين عن الزيادة في الدين وأن يتمه لهم إن نقصوا منه!

ومنه أيضاً ما رواه في نفس الباب بسند معتبر^(٢) عن أحدهما عليه السلام قال: إن الله لم يدع الأرض بغير عالم، ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل.

ومنه الحديث العاشر في الباب بسند فيه محمد بن الفضيل^(٣) قلت

(١) علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن منصور بن يونس، وسعدان بن مسلم، عن إسحاق بن عمار.

(٢) علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما عليه السلام.

(٣) بن كثير الأزدي، فيه كلام، فقد ضعفه الشيخ وذكر في المعجم، أنه من رجال كامل الزيارات.

لأبي عبد الله عليه السلام: أتبقي الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت. وقد تبني المولى المازندراني شارح الكافي أن معنى ساخت: أي لغاصت في الماء وغابت، ولعله كناية عن هلاك البشر وفنائهم، غير أن المحشي (الميرزا أبو الحسن الشعراني) قال: أنكر السيد المرتضى رحمته الله في الشافي أن يكون مذهب الإمامية زوال الأرض وهلاكها تكويناً أما قولهم «لولا الحجة لساخت الأرض» فإن ثبت صدوره من الإمام المعصوم كان المراد الفتنة والضلال وهلاك الناس بزوال الأمن والسعادة لأن عدم وجود الإمام العادل المتصرف إما أن يكون بعدم وجود أمير مطلقاً وفساده ظاهر، وإما بوجود جائر أو جاهل وهو مثله.^(١)

والقول الثاني: أن المقصود هو الفساد التكويني، فمثلما الزلازل مثلاً تنتهي إلى اعدام أجزاء من الأرض، أو البراكين والسيول، فإن عدم وجود الحجة الإلهي أيضاً ينتهي إلى هذه النتيجة.

فمما يدل عليه ما رواه الكليني بسند^(٢) فيه محمد بن الفضيل وقد تقدم ذكره عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: أتبقي الأرض بغير إمام؟ قال: لا، قلت: فإننا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنها لا تبقي بغير إمام إلا أن يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد فقال: لا، لا تبقي إذاً لساخت.

(١) شرح أصول الكافي ١٢٦/٥.

(٢) علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن الفضيل.

وقد نفى الإمام الرضا عليه السلام في هذه الرواية، المعنى الذي كان تبادر إلى ذهن السائل، من أنه يمكن أن تبقى الأرض ولكن يكون أهلها مسخوطا عليهم من قبل الله تعالى، وهو المعنى الأول الذي ذكرناه (الفساد التشريعي، والضياع من جهة الهداية والأحكام) وأوضح أنها لا تبقى أصلاً!

ومما تشير إليه الرواية الثانية عشر من الباب نفسه بسند ليس تاماً ^(١) عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يमوج البحر بأهله.

وقد علق عليه المولى المازندراني بقوله: (لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله) ماج البحر يموج موجاً اضطربت أمواجه وكذلك الناس يمجون. شبه اضطراب الأرض وأهلها بموج البحر وأهله للايضاح وكنى به عن زوال أهلها لأن الاضطراب المذكور يستلزمها والباء في الموضعين للتعدية أو بمعنى مع.

وقال في موضع آخر ^(٢) في خصوص الإمام المهدي عليه السلام: هو حي موجود قامت السماوات بوجوده ولولا وجوده لساخت الأرض بأهلها طرفة عين.

ومن المعاصرين عبّر عن هذه الفكرة المرحوم الشيخ المنتظري:

(١) علي عن محمد بن عيسى، عن أبي عبد الله المؤمن، عن أبي هراسه.

(٢) شرح الكافي ١/ ٣٠٢.

ان الهدف من تعيين الإمام لا ينحصر في إدارة الأمور السياسية في المجتمع والحفظ الظاهري للدين وتبيين احكام الشريعة فقط، بل هو مضافا إلى ذلك واسطة الفيض واللفظ الإلهي وهو العلة الغائية العظمى في نظام التكوين، وقد ورد في الأخبار انه لو انعدم الإمام لساخت الأرض بأهلها، وقد أشار التوقيع المتقدم إلى ذلك بقوله: «واني لأمان لأهل الأرض»، وقال الطوسي رحمته: «وجوده لطف» أي أن نفس وجوده لطف إلهي على العباد. هذا مضافا إلى أنه وفقاً للوقائع الكثيرة والمنقولة في الكتب المعتمدة فإن الإمام الحجة قد أتى وظهر متنكراً وأعان أصحابه وأنصاره في ساعات العسرة والضنك. ^(١)

كما أشار إليه المرحوم السيد جعفر مرتضى العاملي بقوله: وقد اتضح أيضاً أن وجود الإمام المعصوم في كل عصر وزمان أمرٌ حتميٌّ وضروريٌّ حتى ولو كان غائباً ومستوراً، لأن هذا الإمام يحفظ ويرعى كثيراً من المواقع والمواضع في هذا الكون المسخر للإنسان، والتي لولا حفظه ورعايته عليه السلام لها وقعت الكارثة، كما أنه لولاه لساخت الأرض بأهلها، كما ورد في الروايات المعتمدة. وبذلك نعرف السر في أن الروايات قد ذكرت: (أنه لو بقيت الأرض بغير إمام)، أو (لو أن الإمام رفع من الأرض ولو ساعة لساخت بأهلها). وأصبح واضحاً معنى الرواية التي تقول: (وأما

(١) كتاب من المبدأ إلى المعاد / ١٧٠.

وجه انتفاع الناس بي في غيبيتي فكالشمس إذا جللها عن الأنظار
السحاب^(١).

ويمكن لأصحاب هذا الاتجاه أن يقولوا رداً على استغراب
واستنكار الارتباط بين وجود النبي أو الإمام وبين ثبات الأرض:
بأن عدم معرفتنا بكيفية ذلك لا يعني عدم وجوده، فنحن لا نعرف
كيف هي أدوار الملائكة في هذا الكون.. وكيف تتصرف في الطبيعة،
مع أن القرآن أثبت ذلك والروايات، وعليه رأي المسلمين وأنهم قد
كلفوا بأدوار مختلفة ومتعددة فيه.. وتفسر الآيات الواردة في سورة
الذاريات بهذا: ﴿فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا﴾.

لا سيما وأن هناك أسباباً في الكون لا نعلم حقيقتها كالجاذبية،
وخاصية الالتصاق في الأشياء، وحقيقة الماء التي يُصَيَّر بها كل شيء
حيّاً (ولا توجد في غيره من السوائل بالرغم من سيولتها) بحيث
لو أن شيئاً منها انهدم لانهدم الكون، ومثل الروح التي لا نعلم ما
هي، ولو خرجت من البدن انتهت الحياة، ولا نعرف أيّاً منها، ولا
نعرف كيفية هذا الارتباط وإنما نعرف آثارها. فكذلك لا نعرف
كيفية ارتباط النبي والإمام بالكون.

كالشمس إذا جللها السحاب:

يلاحظ أن الروايات التي تم السؤال فيها عن فائدة ومنفعة

(١) خلفيات مأساة الزهراء ١ / ٢١٥.

الإمام المهدي حال غيبته، قد شبهت بتشبيه واحد وهو أن فائدته فائدة الشمس وإن تجلّ لها السحاب وغطّاها. ويمكن أن يكون هناك عدة أوجه لهذا التشبيه، منها:

١. الشمس مركز المنظومة الشمسية.. وفيما يرتبط بدوران الكواكب حولها، وارتباطها بالشمس فإن وجود السحاب قد يمنع شيئاً من الضوء عن بعض أجزاء الأرض إلا أنه لا يؤثر قطعاً على علاقة الكواكب بالشمس، ومركزية الشمس بالنسبة لها.. وكذلك تكون غيبة الإمام (عليه السلام). فهي وإن أثرت على ما فيه حاجة الناس للاتصال المباشر كقضايا الأحكام وشبهها، إلا أنها لا تؤثر على بقية أدواره، ولا سيما وجوده المبارك في كونه واسطة الفيض الإلهي، وثبات الأرض التكويني، بالنحو الذي يذهب إليه الرأي الثاني.

٢. بل حتى بحسب الارتباط بالأرض فإن هناك آثاراً كثيرة لشروق الشمس على الأرض وأهلها، منها ما يتأثر بتغطية السحاب للشمس، كالإضاءة والاستنارة، ومنها ما لا يتأثر.

٢. قيام الحجة لله على الخلق:

قضت سنة الله في خلقه أن يبعث لهم الحجج، لهدايتهم لسبيل الحياة الكريمة، والفوز بالنعيم في الآخرة، ولتكون الحجة البالغة لله (ﷻ) على الخلق، لو تخلّفوا عن طاعته ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴿١﴾، وقد عبرت الروايات عن ذلك بنصوص كثيرة^(٢)، كما أقام علماء الكلام أدلتهم العقلية على ذلك.

وفي دعاء الندبة يردد المؤمنون (ولا يقول أحد لولا أرسلت إلينا رسولا منذراً، فتتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى...)^(٣).

فإذا كان الأمر كذلك فما هي ميزة سائر الأزمنة على زماننا حتى يكون لهم حجج إلهيون ولا يكون لنا ذلك؟

نعم ورد في الروايات أن الضرورة تقتضي أن يكون حجة موجوداً، إما ظاهر مشهور أو غائب مستور^(٤).

كذلك فإن من مسلمات المسلمين أن (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية..)، وليس هو أيّ إمام وإنما إمام الزمان.. فهل يتم تخصيص الأكثر بحيث يمر علينا خمسة أضعاف الفترة

(١) النساء ١٦٥.

(٢) منها ما في الكافي: ما عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال: والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم (عليه السلام) إلا وفيها إمام يهتدى به إلى الله وهو حجته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده.. وأنه لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة.. وقد تقدم بعضها في عنوان: لولا الحجة لساخت الأرض؛ الفساد التشريعي.

(٣) ابن المشهدي: المزار ٥٧٥.

(٤) في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته)، والملاحظ أنه جعل خلو الأرض من الحجة (حتى المغمور) سبباً لبطلان ضياع أحكام الله وبيناته.

الاسلامية من غير إمام معروف للناس؟ وكذلك فإنه يلزم أن الروايات التي تشير إلى أن الثقلين لن يفترقا، وإلى أنه في كل خَلَفٍ عدولٌ من أهل البيت ، ومثل ما ورد من أن النجوم أمانٌ لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض.. هل هذا كله مختص بما قبل زمن ٢٥٠ هـ؟

بل حتى سؤال الغيبة الوارد في الروايات، من قبل الرواة هو معتمد على هذه الأرضية: فعن سليمان الأعمش عن الإمام الصادق (عليه السلام): لم تَخُلْ الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تَخْلُو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله، قال سليمان: فقلت للصادق: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال (عليه السلام): كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب

٣. عرض الاعمال على الإمام:

ورد في تفسير آية: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ..﴾ من طريق الإمامية ما قاله الشيخ الطبرسي في مجمع البيان: وقيل: أراد بالرؤية ها هنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عدّاه إلى مفعول واحد أي يعلم الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه ويراه رسوله أي يعلمه فيشهد لكم بذلك عند الله تعالى ويراه المؤمنون قيل أراد بالمؤمنين الشهداء. وقيل: أراد بهم

الملائكة الذين هم الحفظة الذين يكتبون الأعمال وروى أصحابنا أن أعمال الأمة تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم في كل اثنين وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على أئمة الهدى عليهم السلام فيعرفونها وهم المعنيون بقوله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

وفي البحث الروائي نقل السيد الطباطبائي في الميزان عن بصائر الدرجات بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن الأعمال هل تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما فيه شك. قال: رأيت قول الله ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ فقال: الله شهداء في خلقه.

أقول: وفي معناه روايات متظافرة متكاثرة مروية في جوامع الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وفي أكثرها: أن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ في الآية هم الأئمة، وانطباقها على ما قدمناه من التفسير ظاهر.

وضمن هذا الإطار فإن الإمامية يعتقدون أن أعمالهم تعرض على إمام زمانهم، وهو الحجة المهدي عليه السلام في هذا العصر.

وقد يؤيده ما ورد في تفاسير أهل السنة في شرح هذه الآية:

قال مجاهد: هذا وعيد، يعني من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى، وعلى الرسول، وعلى المؤمنين. وهذا كائن لا محالة يوم القيامة، كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ

تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ»^(١) وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾^(٢) وقال ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾^(٣) وقد يظهر ذلك للناس في الدنيا، كما قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة، لأخرج الله عمله للناس كائناً ما كان».

وقد ورد: أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ، كما قال أبو داود الطيالسي: حدثنا الصلت بن دينار، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم في قبورهم، فإن كان خيراً استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: «اللهم، ألهمهم أن يعملوا بطاعتك».

وقال الإمام أحمد: أخبرنا عبد الرزاق، عن سفيان، عن سمع أنسا يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيراً استبشروا به،

(١) الحاقة: ١٨.

(٢) الطارق: ٩.

(٣) العاديات: ١٠.

وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم، لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا.^(١)

وجه التأييد: أنه إذا كان الله سبحانه يُطلع عامة المؤمنين وهم في قبورهم على أعمال أقاربهم الأحياء في الدنيا، مع أنه لا يترتب أثر واضح على هذا العرض، فإن عرضها على النبي ﷺ وهو في قبره وهو الأولى بالناس من أنفسهم أولى من عرضها على الأقارب، وعرضها على الإمام الحي الحاضر، وهو إمام العصر كذلك.

أقول: فمن العجيب أنهم يقبلون بأن أعمال الناس تعرض على أقاربهم وهم أموات في البرزخ، بينما يستنكرون أن تعرض على إمام العباد وهو حي يرزق!!

وقد عقد الشيخ الكليني في الكافي باباً بعنوان: عرض الأعمال على النبي والائمة وأورد فيه عدداً من الروايات في هذا المجال: منها: بسند معتبر عن سماعة، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سمعته يقول: مالكم تسوؤن رسول الله ﷺ؟! فقال رجل: كيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله ﷺ وسروه.^(٢)

ومنها صحيحة يعقوب^(٣) قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول

(١) تفسير ابن كثير ٤٠١/٢.

(٢) علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عثمان بن عيسى.

(٣) عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد،

الله ﷻ: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾
قال: هم الأئمة.

ومنها ما عن عبد الله بن أبان الزيات وكان مكيماً عند الرضا ﷺ
قال: قلت للرضا ﷺ: ادع الله لي ولأهل بيتي فقال: أَو لَسْتُ أَفْعَلُ؟
والله إن أعمالكم لتعرض علي في كل يوم وليلة، قال: فاستعظمت
ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب الله ﷻ: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؟ قال: هو والله علي بن أبي طالب ﷺ.

ولا شك أن الأثر التربوي لهذه الفكرة كبير، فإنه بمقدار ما
يجب الناس أن يكون ولاؤهم للنبي والإمام عظيمًا، فإذا ربط هذا
بان النبي مراقبٌ، والإمام ناظرٌ لأعمال هؤلاء الناس فإن إمكانية
التزامهم الديني والاخلاقي تكون أكثر.

وقد ورد في روايات أن أعمال الناس تعرض على الإمام ليلة
القدر، وربما يكون لهذا الجانب ارتباطٌ بكون أحد أعمال ليلة القدر
التوسل بالمعصومين الأربعة عشر إلى الله لقبول الأعمال.

٤. الشهادة على الخلق، والنظر إلى أوضاع الأمة:

من الواضح أن للحجج الإلهية مقام الشهادة على الناس، فإنهم
القدر المتيقن من ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، ولهم مقام التوجيه

والارشاد إلى الحق، وقد سبق الحديث أن الغياب العنواني لا يمنع من القيام بهذه الأدوار وغيرها، نعم لو كان غياباً جغرافياً وبدنياً، وغيبة كاملة عن المجتمع والناس، فإنه يؤثر.

وما دمنّا قد بيّنا أن الغيبة للإمام هي من النوع الأول وكما قال السفير الثاني للإمام (والله إن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم كل سنة فيرى الناس فيعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه)، بل ورد من طرق كثيرة لا يتسع إحصاؤها ذلك:

فمن ذلك ما رواه أبو نعيم الأنصاري الزيدي أنه في عام ٢٩٣هـ وبعد طوافه حول الكعبة المشرفة جلس في حلقة من المؤمنين عن يمين الكعبة، فبينما هم جلوس إذ خرج عليه الإمام (عليه السلام) وعليه إزاران محرم بهما وفي يده نعلان، فلما رأوه قاموا جميعاً هيبة له فسلم عليهم وجلس متوسطاً بينهم، ثم التفت يميناً وشمالاً ثم قال (عليه السلام): (أتدرون ما كان أبو عبد الله (عليه السلام) يقول في دعاء الإلحاح؟ كان يقول: اللهم إني أسألك باسمك الذي تقوم به السماء وبه تقوم الأرض.. إلى آخر ما ذكره. ^(١))

وقد ورد في الخبر عن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: ليفقد الناس إمامهم، يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه. ^(٢)

(١) كمال الدين وتمام النعمة ٤٧٠.

(٢) الكافي ١/ ٣٣٨.

واشتهر في مؤلفات الإمامية، التوقيع الصادر من الإمام المهدي ﷺ للشيخ المفيد محمد بن النعمان^(١) وفيه عبارات تشير إلى رعاية الإمام لشييعته في زمان غيبته، كما نقله المحدث النوري الطبرسي، في خاتمة المستدرك بطريقه: قال: ورد من الناحية المقدسة في أيام بقيت من صفر سنة عشر وأربعمائة كتاب إلى الشيخ المفيد طاب ثراه، وذكر موصله أنه تحمله من ناحية متصلة بالحجاز. وهذه صورته، نسخة ما ينوب مناب العنوان: للشيخ السديد والمولى الرشيد الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان أدام الله إعزازه من مستودع العهد المأخوذ على العباد. نسخة ما في الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، سلام عليك أيها الولي المخلص في الدين، المخصوص فينا باليقين، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وآله الطاهرين، ولنعلمك - أدام الله توفيقك لنصرة الحق، وأجزل مثوبتك على

(١) ترجمه الزركلي في الأعلام ٢١/٧ فقال: الشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣ هـ، ٩٤٧ - ١٠٢٢ م) محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، يرفع نسبه إلى قحطان، أبو عبد الله، المفيد، ويعرف بابن المعلم: محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف في الأصول والكلام والفقه. ولد في عكبرا (على عشرة فراسخ من بغداد) ونشأ وتوفي ببغداد. له نحو مئتي مصنف، منها (الأعلام فيما اتفقت الإمامية عليه من الأحكام - ط) و (الارشاد - ط) في تاريخ النبي - صلى الله عليه وسلم - والزهراء والأئمة، الرسالة المقنعة - ط) فقه، و (أحكام النساء - خ) و (أوائل المقالات في المذاهب والمختارات - ط) و (الأمالي - ط) مرتب على المجالس، و (نقض فضيلة المعتزلة) و (إيمان أبي طالب - ط) رسالة، و (أصول الفقه) و (الكلام في وجوه إعجاز القرآن) و (تاريخ الشريعة) و (الافصاح).

نطقك عنا بالصدق - أنه قد أذن لنا في تشريفك بالكتابة، وتكليفك ما تؤديه عنا إلى موالينا قبلك - أعزهم الله تعالى بطاعته، وكفاهم المهم برعايته لهم وحراسته، فقف أيدك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه - على ما نذكره، واعمل في تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه إن شاء الله، نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أرانا الله من الصلاح لنا ولشيعتنا المؤمنين في ذلك، ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإننا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالأذى الذي أصابكم، منذ جنح كثيرٌ منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ منهم كأنهم لا يعلمون. وإنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم البلاء واصطلمكم الأعداء،^(١)... إلى آخر ما ورد في ذلك التوقيع.

هل يتدخل الإمام الحجة في المسائل الشخصية؟

طرحنا في الفترة الأخيرة كلمات من البعض، تأخذ منحى التشكيك في أن يكون الإمام ﷺ يتدخل في حالات الاضطراب الفردي، كشفاء بعض الأمراض المستعصية أو إرشاد بعض الغرباء والتائهين، وما شابه ذلك.. بالقول بأن نسبة هذا الدور للإمام يعني أن الإمام مؤسسة خيرية (!!).

والحق أن يقال: أننا بعدما سلمنا بأن له إشرافاً، وشهوداً، وتدخلًا في الأرض وأنه ليس محجوباً عن التأثير، إلا أننا لا نعلم عن طريقة تدخل الإمام في القضايا العامة، لأنه لا سبيل إلى الاطلاع على ذلك، ومن يدعي ذلك عليه إثباته، فهل نعلم كيف دفع الضر والبلاء عن شيعته في المكان الفلاني؟ لا سبيل إلى ذلك.

ما يحصل هو أنه في القضايا الشخصية، يتم مساعدة بعض الناس، وإنقاذهم، وإخراجهم من هذا الاضطراب الذي وقعوا فيه، وهم يقومون فيما بعد بالإخبار عن قصصهم وقضاياهم، وربما يكون الإمام بنفسه هو المباشر لهذا العمل، أو أحد الموكلين من جهته.. ومع كون الناقلين ثقات في نقلهم، يكون حكم ما يذكرونه من قصص حكم باقي القضايا التي تثبت بنقل الثقة لها، بل أمرها أسهل بكثير مما يقبل فيه إخبار الثقات كالأحكام الشرعية.

لذلك نحن نعتقد أنه لا داعي للتندر بهذا الموضوع، والتعامل معه على أساس أنه نكتة أو طرفة! وكذا لا معنى لتوهين الأمر أيضاً، وتقليل قيمته، فإن إنقاذ مؤمن (فرد) مثلاً من مرض عضال، أو إعادته إلى دياره، أو تخليصه من سجن طاغية، أو طرد حيوان مفترس ليس أمراً قليل القيمة!! ولم يقل أحد أن هذا هو الدور الوحيد للإمام وإنما ما لنا طريق معرفته من قبل صاحب القضية

هي هذه المسائل الشخصية، أما المسائل العامة كدفع الحروب أو إنقاذ المجتمعات، أو نصر المذهب الحق في هذا المكان أو ذاك.. فلا سبيل إلى معرفته!

مسؤوليتنا في زمان صاحب الزمان عجل الله فرجه

هناك روايتان حول انتظار الفرج ^(١) إحداهما: عن النبي المصطفى ص: «خير أعمال أمتي انتظار الفرج» ^(٢) والأخرى عن امير المؤمنين ع: «أفضل الأعمال انتظار الفرج» ^(٣).

وهنا يأتي السؤال بعدما كان (انتظار الفرج) هو خير الأعمال، وأفضل الأعمال.. أي فرج هذا وأي انتظار؟

«انتظار الفرج» الفرج تارةً ينظر إليه باعتبار انه اسم جنس وأخرى ينظر إليه بأنه اسم معهود لفرج معين.

فقد يقال إنه لما كان الكلام صادراً عن النبي وأمير المؤمنين ع

(١) فرج الله الغم يعني كشفه وأزاله.

(٢) كمال الدين ١/ ٦٧١.

(٣) المصدر وكذلك عن الإمام الصادق ع في البحار ٧٥/ ٢٠٨.

وهما متقدمان جداً عن قضية الانتظار للفرج الخاص المرتبط بالإمام المهدي، فمن ذلك يظهر أن فيه عمومية، يعني أن أفضل الأعمال أن يكون الإنسان منتظراً لفرج الله في كل شيء، فإذا كان الشخص ينظر إلى وضع سياسي متأزم، ويخشى أن تتأزم الأمور بنحو أسوأ، وتضيق الأرض بما رحبت.. يقال له: انتظر فرج الله! ولا تيأس من روح الله! ولا تقنط! وكذا على المستوى الشخصي لو كنت في وضع مالي شديد والمستقبل أمامك مجهول فلا تستلم لعوامل السلب وإنما انتظر الفرَج من الله تعالى! تفاعل بأن يأتيك العون والنصر! أحسن الظن بالله سبحانه! وفي أمور صحتك كذلك.. وسائر الأمور.

أفضل الأعمال هو انتظار الفرَج من الله واليسير في الأمور المختلفة.

هذا كله على المستوى الشخصي والفردى.

إلا أن التأويل الأعظم لذلك هو عندما يكون الفرَج على مستوى البشرية، على أثر قدوم قائم آل محمد ﷺ فإذا كان الإنسان في حوائجه الشخصية، صحته وتجارته وتعليمه وأولاده وأسرته مأموراً بأن ينتظر الخير ويتربح الفرَج فهو في أمر يرتبط بمستقبل البشرية كلها، تحررها من سيطرة طواغيت المال والقوة والسياسة، وسيادة عدل الله في أرضه، وتكامل الإنسان في طريق إنسانيته، ورفع الظلم عن المستضعفين والمضطهدين الذين أكلت أغلال السجون لحوم أبدانهم النحيلة!

هذا هو الفرج الحقيقي في كماله وشموله، الذي يفترض أن الكائنات ستحتفي به بدءاً من الأرض التي بعدما أشرقت بظهوره بنور ربها، أخرجت له أثقالها وبركاتا.

ماذا يعني الانتظار؟ وما هي مسؤوليات المنتظر؟

حيث أن صاحب تفسير الأمل قد تعرض لهذا المفهوم بنحو مفصل ومشرق فسنقل نص عبارته إكمالاً لفائدة القارئ، فقد قال تحت عنوان مفهوم الإنتظار!

«الإنتظار: يطلق عادةً على من يكون في حالة غير مريحة وهو يسعى لإيجاد وضع أحسن.

فمثلاً المريض ينتظر الشفاء من سقمه، أو الأب ينتظر عودة ولده من السفر، فهما أي المريض والأب مشفقان، هذا من مرضه وذاك من غياب ولده، فينتظران الحال الأحسن ويسعيان من أجل ذلك بما في وسعهما.

وكذلك مثلاً حال التاجر الذي يعاني الأزمة السوقية و ينتظر النشاط الإقتصادي. فهاتان الحالتان أي: الاحساس بالأزمة، والسعي نحو الأحسن هما من الإنتظار.

فبناءً على ذلك، فإنّ مسألة إنتظار حكومة الحق والعدل، أي حكومة (المهدي عليه السلام) وظهور المصلح العالمي، مركبة في الواقع من عنصرين: عنصر نفي، وعنصر إثبات، فعنصر النفي هو الإحساس

بغرابة الوضع الذي يعانيه المنتظر، وعنصر الإثبات هو طلب الحال
الأحسن!

وإذا قُدِّرَ لهذين العنصرين أن يحلّا في روح الإنسان فإنّهما يكونان
مدعاة لنوعين من الأعمال وهذان النوعان هما:

١. ترك كل شكل من أشكال التعاون مع أسباب الظلم والفساد، بل
عليه أن يقاومها، هذا من جهة.

٢. وبناء الشخصية والتحرك الذاتي وتهيئة الإستعدادات الجسمية
والروحية والمادية والمعنوية لظهور تلك الحكومة العالمية
الإنسانية، من جهة أخرى.

ولو أمعنا النظر لوجدنا أنّ هذين النوعين من الأعمال هما سبب
في اليقظة والوعي والبناء الذاتي.

ومع الالتفات إلى مفهوم الإنتظار الأصيل، ندرك بصورة جيدة
معنى الروايات الواردة في ثواب المنتظرين وعاقبة أمرهم، وعندها
نعرف لم سمّت الروايات المنتظرين بحقّ بأنّهم بمنزلة من كان مع
القائم تحت فسطاطه «عجل الله فرجه» أو أنّهم تحت لوائه، أو أنّهم
كمن يقاتل في سبيل الله بين يديه كالمستشهد بين يديه، أو كالمشحط
بدمه!... الخ...

تُرى أليست هذه التعابير تشير إلى المراحل المختلفة ودرجات
الجهاد في سبيل الحق والعدل، التي تتناسب ومقدار الإستعداد

ودرجة انتظار الناس؟

كما أنَّ ميزان التضحية ومعياريها ليس في درجة واحدة، إذا أردنا أن نزن تضحية المجاهدين، في سبيل الله ودرجاتهم وآثار تضحياتهم، فكَذلك الإِنتظار..^(١)

أقول: لهذا لا غرابة أن عدَّ المعصومون (عليه السلام)، انتظار الفرج، وجهاً من وجوه الفرج وجانباً منه، فإن محمد بن الفضيل سأل الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) فقال: سألته عن شيء من الفرج، فقال: أليس انتظار الفرج من الفرج؟ إن الله (تعالى) يقول: ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾.^(٢) بل هو في حديث الإمام زين العابدين (عليه السلام) (من أعظم الفرج).^(٣)

إن الانتظار الخاص المرتبط بالإمام الحجة، هو رجاء أمل وهو في نفس الوقت اعتراض على الواقع القائم، كما أنه إحساس برقابة الإمام على المكلف المنتظر.

وهو بالتالي يحمل المؤمن عدداً من المسؤوليات نشير إليها باختصار:

(١) الأمثل في تفسير الكتاب المنزل؛ ناصر مكارم الشيرازي: ٢٤/٦.

(٢) بحار الأنوار؛ المجلسي محمد باقر: ١٢٨/٥٢.

(٣) كمال الدين ١/٣٤٨.

الأولى: هي مسؤولية المعرفة

معرفة الإمام جزء من العقائد الدينية الأساسية ذلك أن من الإشكاليات الكبيرة في عالم المسلمين اليوم هي: كيف يتعاملون مع الحديث المعروف بين فرق المسلمين جميعاً عن رسول الله ﷺ القائل: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)^(١) أو من مات ليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية؟

وبالطبع لا يمكن تطبيق هذا الحديث وأمثاله بنحو صحيح الا على طبق فهم المدرسة الإمامية فإنهم يعرفون إماماً من الله ﷻ منصوباً عليه وفيه مقاييس الإمامة بصيغتها الكبرى فهم يبايعونه ويدينون بالولاء له.

نعم تبقى إشكالية حياته وطول بقائه لهذه المدة الطويلة، والمفروض أن العلماء قد قدموا البراهين عليها في علم الكلام!

أما غير الإمامية والحديث بل الأحاديث ثابتة عندهم فماذا يصنعون؟! وليس المقصود أن يكون في عنق المسلم بيعة لإمام ما وقائد من أي صفة، فهذا تحصيل للحاصل، إذ ما من شخص لا يكون رئيساً متبوعاً إلا كان مرؤوساً تابعاً، وإنما المقصود أن يكون

(١) الكافي ١ / ٣٧٧ عن الإمام الصادق ﷺ نسبه لرسول الله ﷺ، وفي مصادر مدرسة الخلفاء، جاءت الروايات بنفس المعنى ولكن بصياغة مختلفة مثل (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) كما في صحيح مسلم ٦ / ٢٢ وفي المعجم الأوسط (من مات وليس عليه إمام..).

إمامٌ عن الله ﷻ يهدي إليه، ويؤمر الشخص باتباعه وطاعته طاعة تامة. بمقتضى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. (إمام الحق)، فهل الإمام الحق هو السلطان السياسي؟ أو العالم الديني؟ وأيها هو صاحب البيعة، وفي حالات الاضطراب والنزاع بين الحكام والولاة ما ذا يصنعون؟ يبقون على ولاء الحاكم المخلوع أو يبايعون الخالع؟!

إن معرفة الإمام والقائد هي ضرورة دينية قبل أن تكون حاجة دنيوية! وربما لهذا السبب فإن زارة عندما حدثه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عن زمان الغيبة، أخبره بماذا ينبغي فعله وقال: ادعُ بهذا الدعاء (اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم اعرف نبيك، اللهم عرفني نبيك فإنك إن لم تعرفني نبيك لم اعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني)^(١) ولاحظ دقة التسلسل والارتباط الوثيق بين معرفة الله والنبي والإمام.

وإذا كانت المشكلة عند غير الإمامية في التشخيص الأساسي والعنوان الرئيس، فإنها أيضا موجودة بدرجة من الدرجات في تشخيص الصادق من الكاذب، وقد ذكرنا شيئا من ذلك عند الحديث عن الدعوات المهدوية الكاذبة، وكيفية اكتشاف الكذبة فيها. فإن المسار الأصلي لدى الإمامية واضح وهو أن الإمام محمد

(١) ذكره الشيخ الصدوق في كمال الدين ١/ ٣٤٢ في مواضع متعددة وبأسانيد كذلك.

بن الحسن المهدي هو صاحب الزمان وهو المهدي التاسع من ولد فاطمة المولود في زمان أبيه العسكري والباقي على قيد الحياة بقدرة ربه. إلا أن المشكلة عندما يأتي قطاع الطرق فينسبون أنفسهم إليه (باب المهدي، وابن المهدي، ووكيله، وأحياناً حتى يزعمون؛ نفس المهدي!!) فهنا قد يشتبه الأمر على بعض الناس. ويحتاجون إلى أن يدعوا ربهم (اللهم عرفني حجتك).

الثانية: مسؤولية الارتباط وتوثيق العلاقة

مع الإمام المهدي

ذلك أن إحدى العضلات في حياة الناس ان تتعامل مع إمام غير حاضر أمامك. وهي العضلة الأساسية في تعامل البشر مع الغيب، ذلك أن الإنسان يميل عادةً إلى المسجد والحاضر أمامه يتفاعل معه بحواسه، وهذا ما يذكره علماء الاجتماع عند جوابهم على سؤال: مع وجود فطرة في البشر تهديهم لوجود إله للكون إلا أنهم مع ذلك يذهبون ليصنعوا أصناماً وأوثاناً فيظلوا لها عاكفين! مع أنهم هم الذين صنعوها! أجابوا عن ذلك بأن تعامل الإنسان مع الشيء المسجد والخارجي أسهل وأسرع من تعامله مع المجردات والغيب.

ومثل ذلك تعامل الإنسان مع الإمام الحاضر والقائد الموجود معه وأمام عينه، أسهل وأيسر من تعامله مع إمام غائب.. وهذا لا

ريب أحد امتحانات الإنسان المؤمن.. ولكي يجتازها بسلامة لا بد أن يضاعف ارتباطه بإمامه وعلاقته بقائده حتى يتغلب عناصر الغياب المؤثرة سلباً.

هذا مع تذكيرنا الدائم والذي تم شرحه في موضوع آخر بمعنى الغيبة للإمام المهدي.

ربما من أجل ذلك فقد وضعت مجموعة من البرامج يمكن أن تعوض هذا البعد (المادي) بتقوية العلاقة النفسية والارتباط القلبي والعاطفي من أدعية وزيارات، منها على سبيل المثال (دعاء الندبة) الذي يستحب أن يقرأ في أيام الجمع وأيام الأعياد.

وربما يتساءل انه هل لهذا الدعاء سند معتبر^(١) ام لا؟!

يرى بعض الباحثين أن هناك عدة طرق يمكن من خلالها تقوية مثل هذا الدعاء:

الطريق الأول:

انه قد اعتمد عليه في الاستدلال الكلامي والفقهني بعض أعيان الطائفة، والاستدلال بنص في العقائد والفقه على أصل عقدي أو حكم شرعي يقتضي أن يكون ثابتاً في نظر المستدل، حيث أن

(١) تم الحديث بشكل مفصل عن دعاء الندبة؛ سنده ومقاصده ومضامين كلماته بعنوان: تأملات في (دعاء الندبة) لمؤلف هذا الكتاب. وهنا إشارات سريعة ومختصرة له.

المطلوب في الفقه والعقائد من القيود والاشتراطات في الدليل أكثر مما هو مطلوب في الأدعية والمواظع وقد أشرنا إلى ذلك في شرح دعاء الندبة.

الطريق الثاني:

أنه قد رواه أو بعض فقراته من يُعد من المتشددین في أمر السند وهو السيد علي بن طاووس رحمته الله^(١)، فإنه يعتبر أول من خالف طريقة القدماء في تصحيح الأحاديث ونهج منهجاً جديداً تبلور فيما بعد بشكل أكبر لدى تلميذه العلامة الحلي واعتبر أن ما يكون سنده إلى المعصوم مشتملاً على راوٍ ضعيف أو مجهول، فإنه يصنف باعتباره خبراً ضعيفاً لا يمكن الاعتماد عليه.

وما دام الذي نقله في كتابه لديه هذا المنهج فلا بد أن يكون قد لاحظ سند الدعاء ولو لم يره صالحاً لما نقله في كتابه، لا سيما وهو المؤسس لهذا المنهج الذي سمي بتربيع الأحاديث..

(١) رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني (ت ٦٦٤ هـ) أستاذ العلامة الحلي ووالده، وصاحب نقابة الطالبين في عهده، عرف بالقداسة والكرامات حتى نقل أنه ما اتفقت كلمة الأصحاب على اختلاف مشاربهم وطريقتهم على صدور الكرامات عن أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه غيره. بل قال المحدث النوري صاحب المستدرک كما نقله عنه تلميذه القمي ويظهر من مواضع من كتبه خصوصاً كشف المحجّة أن باب لقائه الإمام الحجة رحمته الله كان مفتوحاً.. له عدد من الكتب المتداولة والمطبوعة.

الطريق الثالث:

أن بعض أعيان الطائفة قد صرح بأن له سنداً معتبراً، ومن أولئك العلامة المجلسي وهو الخبير بأحاديث المعصومين (عليه السلام). فقال في كتابه زاد المعاد: «وَأَمَّا دُعَاءُ التَّذْبِيَةِ الْمُشْتَمِلُ عَلَى الْعَقَائِدِ الْحَقَّةِ وَالتَّائْسِفِ عَلَى غَيْبِهِ (عليه السلام) فَمَرْوِيٌّ بِسَنَدٍ مُعْتَبَرٍ عَنِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ إِنَّ قِرَاءَتَهُ مَسْنُونَةٌ فِي الْأَعْيَادِ الْأَرْبَعَةِ أَيَّ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَيَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ عِيدِ الْأَضْحَى وَيَوْمِ عِيدِ الْغَدِيرِ، وَهُوَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَهُ الْحَمْدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيماً اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَائِكَ...»^(١)

الطريق الرابع:

بناء الدعاء ككل في معانيه وألفاظه يشير إلى أنه صادر من تلك المشكاة المعصومية، ومضامينه موجودة في روايات آخر، فهو يبدأ في تاريخ الأنبياء ورسالتهم، وأهم صفاتهم وأدوارهم، ثم ينتهي بالأمر إلى نبينا المصطفى محمد صلوات الله عليه وسلامه. ويبين شرائف أعماله.

وبعده يذكر الحدث الذي حصل بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من

(١) زاد المعاد ٣/١ ٣٠٣ الأعلمي بيروت ١٤٢٣.

انقلاب الحزب القرشي على ولاية أمير المؤمنين مع ما كان عليه الإمام من الشأن العظيم والمنزلة الرفيعة التي بيّنتها الأحاديث النبوية المعتبرة.. وبعد أن يبين الدعاء أن هذا الانقلاب كان فاتحة المظالم وبوابة الأحران على آل محمد (فَقُتِلَ من قُتِلَ وسُي من سُي وأقْصِي من أقْصِي).. أخيراً وبعد أن يتفجع ويتوجع من صعوبة الوصول للإمام المهدي (عليه السلام)، يوقد شعلة الأمل ولا يستسلم لظلمات اليأس فيتمثل الداعي مواقف الظهور المهدوي والانتصار الرسالي: «أترانا نحف بك وأنت تؤم الملاء وقد ملئت الأرض عدلاً وأذقت أعدائك عذاباً وهواناً...».

ولا ينحصر الأمر بهذا الدعاء بل إن الأدعية والزيارات التي تتكفل بتقوية العلاقة بالإمام (عليه السلام) كثيرة، فمنها ما عرف بدعاء العهد والذي يستحب أن يدعو به المؤمن كل يوم بعد صلاة الفجر ولا يخفي ما للتوقيت من مداليل، هذا فضلاً عن تعابير الدعاء ومضامينه لمن أراد أن يتدبرها. (اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول عنها أبداً).^(١) وأضاف العلامة المجلسي قائلاً: قد روي بسندٍ مُعْتَبَرٍ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ هَذَا الْعَهْدَ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْ أَنْصَارِ الْحُجَّةِ.

(١) زاد المعاد ١/ ٣٠٢ وأيضاً وصفه العلامة المجلسي بأنه بسند معتبر.

المسؤولية الثالثة: السعي لتحقيق المجتمع الذي اراده

صاحب العصر والزمان ﷺ

إن انتظار الفرج لا يعني التوقف السلبي عن ممارسة مسؤوليات الإصلاح، وإنما هو تهيئة الأمور لقدم صاحب الفرج. إن من ينتظر ضعيفاً لا يصح له أن يقف على قارعة الطريق واضعاً يده على خده، وإنما يهياً المنزل لقدمه ويرتب أمور الضيافة حتى إذا جاء يكون كل شيء جاهزاً، وأما لو ترك ذلك واكتفى بالنظر إلى نهاية الشارع ليرى ضيفه فقط، فهو يكون محط الملامة والعتاب، وينسب إلى التقصير في شأن ضيفه.

والفلاح الذي ينتظر نزول المطر بعد شهرين مثلاً، لا يصح منه أن يلاحظ تصرف الليالي والأيام بعنوان أنه منتظر للمطر وإنما يجب أن يهياً أرضه ويحراثها وينظم سواقيها، ثم يبذر البذور المناسبة حتى إذا جاء المطر المنتظر على أرضه ﴿اهْتَرَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(١).

إن المنتظر الحقيقي هو من يعمل لتهيئة الأرض للإمام الحجة، ويعد العدة لاستقبال هذا المنتظر العظيم والقادم الكبير. المؤمن يسعى في بناء مجتمع نعت الله أهله في كتابه فقال: (صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ) على طاعة الله وطاعة نبيه وأهل بيته.. ينبغي أن يسأل

الانسان نفسه هل ساهم في رص الصفوف المختلفة أو أنه زاد في شقوقها شقاً جديداً، وأضاف إلى صدوعها صدعاً حديثاً؟

هل يسعى لإقالة المؤمنين عثراتهم؟ أو أنه يعمق الحفر التي وقعوا فيها. وهل يستر العائبة ويغطي المثوبة لو سمعها عن مؤمن؟ أو أنه يسارع إلى إشاعة الفاحشة عنه، ونشر البغضاء حوله؟

إن بعض التعبيرات الواردة في ملاحم ما بعد الظهور تحتاج إلى إعادة شرح وتفهم، ولا ينبغي أن ينظر إليها دائماً بعيون غيبية واعجازية ما دام يمكن حملها على المعادلات الطبيعية والعادية العرفية، مثلاً ما ورد من أنه (إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت بها أحلامهم)، فقد لا يكون الأمر ضمن الاطار الغيبي البحت، وإنما ربما يكون نتيجة البرامج التي تبث من قبل الإمام (عليه السلام) وتوجيهه فيتحول الناس بفضل هذه البرامج إلى أشخاص على مستوى متقدم من الكمال العلمي والمعرفة.

وفي هذا لا شك تحريض على التحرك باتجاه تحصيل العلم ورفع القدرات العقلية وأن الإمام (عليه السلام) يريد تحقيق هذا الهدف.

ما لا ينبغي الانشغال به أو تصديقه:

كما أن هناك مسؤوليات لا بد من العمل عليها كما تقدم، فإن في مقابلهامأمورا تعتبر مشغلة للناس مع أنه لا ينبغي الانشغال بها،

وصرف الوقت والجهد فيها:

التفتيش عن رؤية الإمام أو أوامره؟

إننا نلاحظ أن الكثير يفتشون عن إمكانية رؤيتهم للإمام المهدي (عليه السلام)، والبعض يحصل لهم تصور أنهم قد رأوا الإمام مرة أو مرات.

ولا نريد أن نكذب دعوى فلان أو فلانة رؤية الإمام (عليه السلام)، فقد يمن الله على بعضهم ويُرزق (رؤية الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة) ولكن من الواضح أن هذا أمر غير متاح لكافة الناس! لكن المتاح لكل الناس إن لم يكن الأولى والأكثر أهمية هو معرفة رؤيته وفكرته حول الإصلاح الاجتماعي والالتزام الديني بأوامره وهي نفسها شريعة أجداده الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

إذا كانت رؤية (شكل الإمام) والالتقاء المباشر به غير متيسر لكل الناس، فإن تطبيق إرادات الإمام وأوامره ممكنة ومتيسرة لكل الناس لو أرادوا. قد تواجه بالتكذيب أو بالتشكيك عندما تتحدث عن رؤية الإمام، لكن لا أحد سيخالفك لو طبقت ما كان يؤكد عليه الإمام الحجة وآباؤه من صلاة الجماعة مثلاً! تحقيقك لها والتزامك بها لا ريب أنه يتوافق مع إرادة الإمام الحجة ويفرح قلبه، ويسره ذلك.

روايات الملاحم؟

نعتقد أيضا أن الإنشغال الزائد عن الحد في تطبيق الحوادث الواقعة على خريطة الروايات الموجودة في تراثنا الديني ليس مما ينبغي.. هذا إذا سلمت تلك الروايات من حيث الأسانيد ووصلت إلينا بطريق صحيح وهو أمر يصعب التوثق منه!

لقد رأينا من الناحية العملية أن بعض العلماء تدفعهم الحمية الدينية والثقة التامة بأن ما يجري من الأحداث هو مقدمات متسلسلة لظهور الحق، وفرج الإمام ﷺ، إلا أن هذا قد يكون له آثار غير مستحسنة.. قد نشير لها في موضع آخر. ذلك أن ما هو موجود في الروايات ليس دقيقاً غاية الدقة، وإنما فيه مجال أن ينطبق على حوادث متعددة مع اختلاف تاريخها وشخصياتها، فبعض تلك الأحداث قد تنطبق على الخلافة العباسية في دورها الثاني أو الأخير. ويمكن أيضا أن تنطبق على أحداث تحصل في زماننا الفعلي! كما أنها يمكن أن تنطبق على أحداث ستقع في المستقبل!

ومن الأمور ما لا ينبغي تصديقه؟

مثل أن الإمام الحجة إذا خرج فإنه يشهر السيف ولا يغمده، يقتل، يسفك الدماء حتى تسيل إلى الركب بل يقر بطون الحبالى.. ويستشهدون حتى على ذلك ببعض الروايات الواردة.

ويقول العلماء إنه بالمراجعة إلى أسانيد تلك الروايات نجدها

غير معتبرة، إذ تنتهي غالباً إلى شخصين، كلاهما مردود الرواية، محمد بن علي الكوفي، وعلي بن أبي حمزة البطائني.

وحتى لو كان لبعضها أسانيد تامة فإنه لا يمكن قبول متونها إذا انتهت إلى أن الإمام لا سمح الله يقوم بتلك الأعمال المنافية للعدل والانصاف، بينما غاية مجيئه هو نفي الظلم وتحكيم العدل!

لا سيما وأن بعضها ينص على أنه يسير بالذبح لا بسيرة رسول الله!

وفي المقابل توجد روايات صحيحة^(١) تامة سنداً ومقبولة متناً تشير إلى أن سيرته هي سيرة رسول الله وجده أمير المؤمنين (عليه السلام)، وإن كان يشهر السيف فهو على المعاندين والمواجهين لحركته الاصلاحية.

(١) سنتعرض بشكل تفصيلي في موضع آخر لما جاء في الروايات من القول بأنه يسير بسيرة جده وتلك التي تقول بأنه لا يسير فيهم بسيرة النبي، والثالثة التي تشير إلى أنه يسير بسيرة داود في القضاء، وغيرها.

الدعوات المهدوية الكاذبة

﴿قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾^(١)

روي عن المفضل بن عمر انه قال (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبتين: يرجع في أحدهما إلى أهله، والأخرى يقال: هلك في أي واد سلك، قلت: كيف نصنع إذا كان ذلك؟ قال: إن ادعى مدع فاسأله عن تلك العظام التي يجب فيها مثله).^(٢)

تتناول هذه الصفحات، الملامح المشتركة في الدعوات المهدوية الكاذبة وكيف يتعرف المؤمن على زيفها، ونقدم لذلك بمقدمتين مهمتين:

(١) يونس/ ٥٩.

(٢) غيبة النعماني ١/ ١٥٧.

الأولى:

أن قضية الاعتقاد بالإمام المهدي ﷺ بصفاته (أنه من أهل بيت رسول الله ﷺ وأنه المذخر للبشرية ليملأ أرضها قسطاً وعدلاً) هو محل اتفاق بين المسلمين مجلّهم لو لم يكن كلهم.

نعم يوجد اختلاف في بعض التفاصيل بين المدرستين الرئيسيتين لدى المسلمين؛ مدرسة أهل البيت الإمامية ومدرسة الخلفاء يتمثل ذلك الاختلاف في أنه هل وُلد وهو حيٌّ موجود ويدخل بقاؤه ضمن الإرادة الإلهية كما يذهب إليه الإمامية؟ أو أنه لم يولد بعد وإنما يدبر الله أمره إذا شاء ويولد في آخر الزمان، فهو ليس موجوداً الآن. وأما أصل الاعتقاد به بالمقدار المتقدم فلا خلاف فيه^(١).

الثانية:

أنه وجد الكثير من الدعوات الكاذبة المتحلة لفكرة المهدوية في العالم الإسلامي وهذه ابتدأت منذ عصور الإسلام الأولى أي من القرن الثاني الهجري واستمرت هذه الادعاءات إلى الأزمنة المتأخرة والمعاصرة، هذا من الناحية التاريخية. وكذلك من الناحية الجغرافية

(١) لهذا عندما اصدر أحد القضاة في دولة قطر كتاباً بعنوان: لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر، فقد انبثت علماء كثيرون من المؤسسة الدينية في المملكة العربية السعودية وفي مصر وغيرها للإنكار عليه.

فقد تعددت أماكن هذه الدعوات في أماكن كثيرة، وتمددت ما بين حجاز الجزيرة العربية وحتى بلاد المغرب العربي مروراً بالعراق ومصر وبلاد الشام والسودان وأفريقيا الجنوبية.

وربما يتصور البعض أن هذه الدعوات هي من الأدلة على عدم واقعية الاعتقاد بالمهدي^(١) ونقول إن الأمر بالعكس تماماً، فما من فكرة من الأفكار العظيمة والعقائد العالية إلا وادعاها بعض الكذّبة، حتى الاعتقاد بالله الخالق فلقد ادعى نمرود وفرعون ذلك،^(٢) وادعى النبوة مدعون كاذبون، فهل تبرر تلك الادعاءات الكاذبة تكذيب الاعتقاد بالله أو بالأنبياء والمرسلين؟ بل إننا نجد أن هذه الادعاءات الكاذبة هي دليل على صدق أصل الدعوى وأن هؤلاء يستغلون ما هو مرتكز من العقائد السلمية في عقول الناس وقلوبهم، ويقدمون مصاديق مزيفة عنها.

إن ذلك ليدل على أن الاعتقاد بأمر المهدي هو اعتقاد راسخ وجازم، وعام لدى المسلمين في مختلف أدوار تاريخهم، وما ذاك إلا بسبب ما أخذوه عن أئمتهم في الدين، وعلمائهم في العقيدة جيلاً بعد جيل!

نعم قد يأتي بعض الكاذبين وأصحاب المصالح الشخصية

(١) انطلق البعض في تكذيب هذه العقيدة من النماذج المدعية والكاذبة!

(٢) قال الأول: (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) وقال الثاني: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى).

فيستغلون هذا الاعتقاد الراسخ ويقدمون أنفسهم كممثلين لهذه العقيدة!

الدعوات المهدوية تاريخيا:

يصعب على الباحث أن يقوم بإحصاء جميع الادعاءات الكاذبة في القضية المهدوية، لكثرتها ولأن بعضها يكون في حدود ضيقة ولا يلقي قبولا كثيرا فيموت الادعاء في منطقته الجغرافية فلا يمكن رصد حركة أصحابها، بالاضافة إلى عدم الأهمية في ذلك فإن المشتركات بين هذه الدعوات الكاذبة كثيرة، مما يقلل الحاجة إلى استعراض (كل) هذه الادعاءات.

ولذلك سوف نقتصر على ذكر بعضها، وما الذي ينبغي على المؤمنين عمله عند حصولها.

١. ربما يكون من أقدم الإدعاءات في الموضوع المهدوي ما كان في زمن الإمام الصادق عليه السلام. والطريف فيه أن الطرفين المتواجهين والمتعادين قد نُسبا إلى المهدي المنتظر، فمن جهة ادعي لمحمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط أنه المهدي، واستفيد في ذلك مما جاء من الأحاديث من أنه من ولد فاطمة ومن نسل النبي، وهو ينطبق على محمد باعتبار أن جده الحسن المجتبي، كما أن اسمه محمد، واسم أبيه عبد الله (وهو موجود

في النسخة الأخرى غير الإمامية حيث أنه لا يوجد في روايات الإمامية أن اسم أبيه كاسم أبي، بخلاف روايات مدرسة الخلفاء، وضمن هذا الجوق قام الحسينون، وبالذات والد محمد وهو عبد الله بالدعوة إليه، لكي ينهض بالثورة ضد العباسيين الذين (سرقوا) جهود العلويين وتضحياتهم ضد بني أمية بدءاً من ثورة الحسين (عليه السلام)، واستفادوا من الشعار الذي كان يستقطب الناس وهو الدعوة إلى (الرضا من آل محمد). وسعى والد محمد إلى عقد مؤتمر قبيل سقوط الدولة الأموية، لتتم مبايعة محمد ابنه إماماً ووالياً، لكن العباسيين استطاعوا أن يختطفوا الحركة وأن يغيروا مسارها لتصبح عباسية، وعلى هذا الأساس فقد جاء أبو العباس السفاح خليفة، ثم أبو جعفر المنصور!

كان من نقاط قوة محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية، هو أنه قرشي وأنه من نسل النبي وقد نهض يأمر بالمعروف، وينكر المنكر وهذه صفات المهدي، لكن صفة أنه التاسع من ولد الحسين لا تنطبق عليه فلا هو من ولد الحسين ولا هو تاسع! وهذا هو الذي دعا الإمام جعفر الصادق إلى أن يخبر المجتمعين من بني هاشم (بفرعهم العباسي والعلوي) إلى أن محمداً النفس الزكية إن كان غرضه التحرك لمقاومة المنكر فلا بأس به، لكنه إذا كان يتحرك على أساس أنه هو المهدي الذي يظهره الله على أعدائه فهذا لا يصح.

وكانت النتيجة أن ثار محمد النفس الزكية وقد واجهه المنصور

العباسي في واقعة معروفة قرب مدينة رسول الله ﷺ، انتهت بمقتل النفس الزكية وعدد غير قليل من أتباعه.

٢. العجيب أن أبا جعفر المنصور (عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) هو نفسه حاول أن يتقمص ابنه شخصية المهدي، فسمى ابنه الأكبر (محمدًا) ولقبه بـ (المهدي) والمنصور نفسه اسمه عبد الله، فصار بهذا يمتلك الاسم: محمد بن عبد الله.. وطبقا لما هو موجود في أحاديث مدرسة الخلفاء فإن المهدي (اسمه اسم رسول الله واسم أبيه اسم أب رسول الله) سيكون محمد بن عبد الله، وأعطاه لقب (المهدي) وهو من قريش!! وكان ذلك التزوير محاولة لإيهام الناس بأن هذا هو المهدي الموعد المنتظر.

وبالفعل جاء بعد أبيه المنصور وحكم مدة عشر سنوات، كان فيها المثال الأكبر لطغيان القوة والشره إلى الدماء!

٣. وكانت هناك محاولة فاشلة في إطار بعض وكلاء الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ، انتهت بهم إلى تأسيس مذهب جديد هو الواقفية، فإن هؤلاء لما طمعوا في ما تحت أيديهم من الأموال التي اجتمعت لديهم أيام كان الإمام مسجوناً فيها، واستشهد الإمام الكاظم في ما بعد زعموا أنه لم يمت وأنه القائم الموعد، وإنما غاب عن الناس، وبالتالي فلا يخلفه أحد، ومن ثمَّ (وقفوا) عليه ولم يسلموا بالإمامة لابنه علي بن موسى الرضا ﷺ.

إلا أن هذه الدعوى ماتت في مهدها، حيث أن كبار وكلاء الإمام الكاظم فضحوا رؤساءها وبينوا أن مقاصدهم كانت دنيوية بحتة، وأن ما قالوه ليس سوى تمويه على عامة الناس، وكان تصدي الإمام علي الرضا (عليه السلام) لهم، واضطلاعه بشؤون الإمامة هو الرصاصة الأخيرة التي أنهت وجودهم في الوسط الشيعي.. هذا في المشرق الاسلامي. وفي القرنين الأول والثاني.

٤. وأما في المغرب الاسلامي، فيذكر المؤرخون أن محمد بن عبد الله بن تومرت (ت حوالي ٥٢٤ هـ) وقد برز في بداية أمره على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (العملي) ويبدو إذا صحت نسبة الأفكار إلى كتابه، وصحت نسبة الكتاب إليه أنه جمع عددا من الأفكار وبالذات في قضايا العقائد من مناهج مختلفة، ففيما كان معروفا عنه النزعة الأشعرية، ومخالفة احتكار المذهب المالكي للتدين في بلاد المغرب، مع ذلك فإنه نسب إلى المنهج المعتزلي فيما يرتبط بصفات الله (تعالى)، وكذلك نسب إليه أفكار هي أقرب إلى المذهب الإمامي الاثني عشري، فينقل عنه هذه الفقرات التي قيل إنها في كتابه (أعز ما يطلب) ما يلي:

«لا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان من الأزمان إلى أن تقوم الساعة... ولا يكون الإمام إلا معصوماً ليهدم الباطل لأن الباطل لا يهدم الباطل... وأن الإيمان بالمهدي واجب، وأن من شك فيه كافر، وإنه معصوم فيما دعا إليه

من الحق، وإنه لا يكابر ولا يضاد ولا يدافع ولا يعاند ولا يخالف ولا ينازع، وأنه فرد في زمانه، صادق في قوله، وإنه يقطع الجبابة والدجاجة، وإنه يفتح الدنيا شرقها وغربها، وإنه يملأها بالعدل كما ملئت بالجور، وإن أمره قائم إلى أن تقوم الساعة»^(١).

فمن الواضح أن وجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان، يساوي أن الأرض لا تخلو من حجة كما عليه الإمامية، وكذلك الاعتقاد بأن الإمام لا بد أن يكون معصوماً ليهدم الباطل فإن الباطل لا يهدم مثله! وهكذا القول بلزوم الإيثار بالمهدي، وعصمته، وظهوره وانتصاره.

وقد كتب دارسو حياته أنه «بدأ يدعو إلى المهدي ويشوق الناس إليه فلما أدرك أصحابه فضيلة المهدي ادعى ذلك لنفسه وقال: (أنا المهدي المعصوم، أنا أحسن الناس معرفة بالله ورسوله)، وغير نسبه الأمازيغي إلى نسب الحسين بن علي حفيد النبي محمد، وبالتالي فإنه يلزم الاقتداء به في جميع أفعاله وقبول أحكامه الدينية والدنيوية، وتفويض الأمر إليه في كل شيء».

وقد استطاع من خلال تحشيدته لاتباعه أن يؤسس له دولة بعدما هزم المرابطين، واستمرت حوالي ١٤٨ سنة.

هذه إحدى الحركات التي ادعى أصحابها المهدوية، وابن

(١) السامرائي؛ د عبد الحميد: دولة الموحدين ١٨٢ / دار الكتب العلمية.

تومرت ولو كان قد توجه إلى بعض الافكار الصحيحة في مسائل الإمامة والعصمة مما أشرنا إليه آنفاً، إلا أن دعواه المهدوية وما قيل من العصمة هو ادعاء باطل ولا صحة له، فإن الأئمة (من قريش)، (من ولد الحسين) والمهدي منهم هو التاسع من ولد الحسين (عليه السلام).

لكن اتباع الناس له ومسايرتهم إياه، ونصرهم حركته تشير إلى أن عقيدة المهدي وانتظار الناس له مركوز في وجدان المسلمين، في غرب العالم الاسلامي مثلما هو في شرقه.

٥. وأما السودان فقد شهدت ظهور محمد المهدي بن عبد الله السوداني (ت ١٣٠٢)، وقد كان معروفاً بالتصوف ومتأثراً إلى حد كبير برجال التصوف والعرفان، كما ينقل عنه بقاؤه في الخلاوي الصوفية. وكان يتحسس من المنكرات والمخالفات للدين، كما قالوا إلى أن التقى بشخص سيكون فيما بعد خليفته واسمه عبد الله التعايشي، الذي قال له بأنه رأى في المنام أن النبي ﷺ يشير إلى محمد هذا بأنه المهدي (ملاحظة: أن الاعتماد على الرؤى والأحلام عنصر مشترك بين الدعوات المهدوية) وأنه هو الذي ستصلح به الأرض! وقد صدق محمد بن عبد الله (المهدي) هذا ما قيل فيه، وبدأ يتصرف على هذا الأساس، ولأن الانسان إذا فكر في أمر من الأمور واهتم به، يكون حاضراً في وعيه ولا وعيه، فكثرت أحلامه أيضاً بهذا.

كان مما قوى دعوة (المهدي السوداني) من جهة أنه كان يأخذ

نفسه بالزهد، والالتزام المشدد بأحكام الدين من جهة، وينسب في ذات الوقت إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب من جهة أخرى.. وبهذا المعنى فقد كان يقنع الناس من خلال سلوكه الشخصي، ومن جهة أخرى بانطباق بعض أوصاف المهدي مثل أنه من ذرية النبي ومن أبناء فاطمة (ما دام من أحفاد الحسن بن علي)، وقد ادعى صراحة أنه المهدي، وأنه يجتمع مع الحضرة النبوية، وما شابه ذلك، وينقل بعض الكتاب ذلك عن وثائق ورسائل تلك الدعوة، فقد جاء فيها: «واعلمني النبي بأني المهدي المنتظر وخلفني بالجلوس على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء والأقطاب والخضر وجمع من الأولياء الميتين وبعض من الفقراء الذين لا يعبأ بهم، وقلدني سيفه وأيدني بالملائكة العشرة الكرام وان يصحبني عزرائيل دائماً، ففي ساحة الحرب أمام جيشي وفي غيره يكون ورائي، وأن يصحبني الخضر دائماً ويكون أماناً سيد الوجود وخلفاؤه الأربعة والأقطاب الأربعة وستين ألف ولي من الأموات»^(١) وقد واجه عسكرياً الجيش المصري التركي الذي كان مسيطراً على السودان حينها، ثم اصطدم مع الجيش البريطاني، وبعد حوالي ١٥ سنة من اعلانه حركته ومهدويته توفي واستخلف على الحركة تلك، عبد الله التعايشي الذي كان قد أخبره بأنه رأى النبي يشير إليه بأنه المهدي!

(١) في مقال ينقل كتابه عن منشورات المهدية، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل بيروت ١٩٧.

٦. وفي الحجاز مع بداية القرن الخامس عشر الهجري، شهد العالم حدثاً متميزاً ارتبط بدعوى المهديّة، حيث قام حوالي ٢٠٠ شخص كما قيل من الجماعة السلفية المحتسبة، بقيادة جهيمان العتيبي بالدخول إلى الحرم المكي، وأعلنوا سيطرتهم عليه بقوة السلاح الذي أدخلوه في توأيت جناز بزعّم أنّه يراد الصلاة عليها، وقيل إنّ جهيماناً قدم زوج أخته محمد بن عبد الله القحطاني باعتبار أنّه المهدي الذي تحدثت عنه الروايات، وأن الكثير قد رأوا رؤى وأحلاماً تفيد هذا المعنى وأن أشراف الساعة قد حضرت والمنكر فشا، وبعد مواجهات مع الحكومة السعودية، تم القضاء أولاً على القحطاني مما كان له أكبر الأثر كما يقول محللون^(١) على تضعّض جماعته، إذ المفروض أن المهدي يبقى على قيد الحياة ويتحقق الانتصار وهو موجود ليقم العدل.

٧. وأما في العراق.. فقد صرح أحد العلماء الباحثين في الموضوع المهدي، بأنّه لاحظ أن انبثاق سبع حركات مهديّة كاذبة خلال عشرين سنة!! وهذا يعني أنّه بمعدل حركة كاذبة في كل ثلاث سنوات!

لعل أخطرّها ما سمي حينها بـ (جند السماء) التي حاولت

(١) نشر موقع هيئة الإذاعة البريطانية bbc على الانترنت تحقيقاً يتضمّن مقابلات مع بعض من بقي على قيد الحياة منهم أو من المقرّبين منهم.

في سنة ٢٠٠٧ م أن تهاجم مدينة النجف عسكرياً في ظل تلك الفوضى الضاربة في العراق، وأن تحتل حرم الإمام علي (عليه السلام) وتقضي على المرجعية الدينية! باعتبار أن المرجعية كما يزعمون ضد الإمام المهدي! لكن انكشف أمرهم في وقت مبكر ومباغتة القوى الأمنية لمزرعة جعلوها معسكراً لهم، فوّت عليهم الفرصة، وأنهى أحدوشتهم!

٨. وتلاهم ما هو قائم ومستمر حتى الآن من ادعاء أحد الأشخاص أنه ابن المهدي تارة أو أنه من جملة المهديين الإثني عشر بعد الإمام محمد بن الحسن العسكري!! أو أنه اليماني الذي هو محمد للمهدي، وترى لهم في كل يوم حديثاً خاصاً يسوقونه بحسب حاجة المستمع! ومرة أخرى يعود السلاح المشترك والدائم بين هذه الحركات الكاذبة، وهو الأحلام والرؤى لتكون هي الدليل الوحيد على ما يعتقدونه ويأمرون الناس بتصديقه عنهم

وربما يساعد على انبعاث هذه الحركات وإيمان البعض بها حالة الاحباط التي يعيشها قسم من المسلمين، ممن لا يفتح بصره إلا ويرى المآسي والدماء في بلاد المسلمين، والتخلف والظلم الواقع عليهم، ولم يبق إلا أن تنزف شاشات التلفزيون الدم العبيط حتى تعبر بصدق عما يحدث في الساحة الإسلامية.

هنا ومع اشتداد الأحوال يتطلع البعض إلى بارقة فرج، وكوة أمل لتغيير هذا الواقع الذي لا لدين الانسان هو حسن ولا لدنياه..

فإذا ما سمع عن شخص رفع راية، ووعدته بالخلاص سارع إليه، وكالغريق المتمسك بكل قش والمعتمد على أي لوح! وفي نفس الوقت فإن أدعياء هذه الحركات إما لجهل بعضهم وإحسان الظن بأنفسهم، أو لخبث البعض الآخر ومعرفتهم بكذبهم يستغلون ذلك الاحباط، وجاهزية هؤلاء الناس المحبطين لعمل أي شيء يغير من وضع الأمة ديناً ودنياً، فيمتلكون الأتباع ويستقطبون الأنصار، ويكون كل واحد من هؤلاء داعياً لغيره إلى هذه الحركة!

إن هؤلاء يستهدفون في الغالب ضعفاء المعرفة، وقليلي العلم، ويحاولون قطع الناس عن مرجعياتهم الدينية، وعن مفكرتهم الذي أنفقوا أعمارهم في نشر العلم. لتجد أن نقطة الاشتراك بين هذه الحركات غالباً هي إيجاد قطيعة بين الناس وبين المراجع الدينية إلى الحد الذي يروجون فيه أن أعدى أعداء المهدي هم المراجع والحوارات العلمية!! هذا مع أن شغل هؤلاء العلماء الشاغل هو تحقيق المطالب والمواضيع المرتبطة بثقافة الانتظار وأحوال الإمام المهدي ﷺ؟

نعم ربما يكون بعض أدعياء المهودية مخدوعين في أنفسهم، بأن أحسنوا الظن بصفاتهم، ورأوا أن ما يقومون به مثلاً هو محاربة للشر والفساد، وهذا من عمل الإمام المهدي، فإذا ضُم لذلك انطباق بعض العناوين عليهم كأن ينسبوا بصدق أو غيره إلى الذرية النبوية! أو إلى قریش وأيضاً يقنعهم البعض برؤياهم في

عالم الأحلام والمنام بأنه تمت الإشارة إلى هذا الشخص بأنه المهدي!
وأمثال ذلك، فيصدقوا (المقلب) في أنفسهم!

كيف نكتشف زيف هذه الحركات؟

هناك مقاييس من الممكن أن تكشف لنا زيف هذه الحركة أو
تلك نشير إلى قسم منها:

الأول: موقف قادة هذه الحركات وأتباعها هؤلاء تجاه العلم:

حين نتحدث في الدائرة الشيعية نلاحظ أن هناك تراثاً علمياً
ضخماً أنتجته عقول علمائنا الأبرار ودونته أعلامهم، خلال أكثر من
ألف سنة من الزمان لو أردنا حساب المدة من زمن الشيخ المفيد رحمته الله
(ت ٤١٣ هـ) وإلى أيامنا المعاصرة، والملاحظ لهذا التاريخ يجد
جهوداً عظيمة قد بذلت حتى أنضجت، أساليب متطورة ودقيقة
في الفقه الإستدلالي والمقارن، وفي تفسير القرآن بطرقه المختلفة،
وفي علم أصول الفقه وقواعده، وفي علم الرجال، فضلاً عن علوم
الحديث المختلفة، والاحاطة بالروايات الواردة عن النبي وآله
المعصومين.

فإذا جاء شخص يهيم على العلم الموجود ويفوق ما هو قائم،
فهذا أول علامات سلامة المسيرة.. وذلك لأننا نعتقد أن الإمام
المهدي يأتي ليكمل ويتمم ما نقص من العلم، ويزيد عليه زيادة

عظيمة.^(١)

لقد رأينا أن من علامات الفضيحة عند بعض أدعياء المهذوية هو أنهم لا يتقنون من العلم الديني شيئاً مهماً، ولهذا فإنهم أول ما يأتون يحاولون إقناع الناس أن هذه العلوم علوم ضلالة، فعلم أصول الفقه عندهم جهل، وعلم الرجال باطل، والاستدلال غير صحيح، وما ذاك إلا لأنّ من السهل كشف (أمتهم) في هذه العلوم.

بل كما ذكرنا مفاد حديث المعصومين أن العلم حتى الطبيعي منه يكون في زمان الإمام وعلى يده غاية في التطور ويتضاعف أضعافاً مضاعفة، بحيث يكون ما قطعتة البشرية من مسيرة العلم بالقياس إلى ما سيكون عليه العلم في عهده أشبه ببركة سباحة قياساً إلى البحر المحيط.

الثاني: الاعتماد على الأحلام والاستخارات:

وقد لاحظنا عند استعراض بعض الادعاءات الكاذبة كيف أن

(١) بحار الأنوار ٥٢ / ٣٣٦ عن الخرائج والجرائح؛ مفاد روايات أن العلم في زمان المهدي يكون أكبر بكثير مما هو عليه الآن، فعن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: (العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس وضم إليها الحرفين حتى يثبتها سبعة وعشرين حرفاً). وفي بعضها الآخر: عن أبي جعفر الباقر: إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع به عقولهم وأكمل به أخلاقهم.

رجالها كانوا يعتمدون اعتماداً كبيراً على المنام والرؤى والأحلام.. وهذه كما عليه الرأي الصحيح عند المسلمين لا تصلح لتكون دليلاً شرعياً على مستحب من المستحبات،^(١) وفي مسألة الأذان وتشريعه مع أنه مستحب من المستحبات، ينفي الإمام الصادق (عليه السلام) الرواية التي تنقلها مصادر مدرسة الخلفاء من أن صورة الأذان قد شرعت عبر رؤيا رآها أحد أصحاب النبي، فيقول بشكل جازم «كذبوا» ثم يقرر قاعدة عامة أن الدين لا يمكن أن تكون تشريعاته من خلال المنام والأحلام ويقول «فإنّ دين الله عزّ وجلّ أعزّ من أن يرى في النوم». ^(٢)

فإذا كان أمرٌ مستحبٌ لا يتم تشريعه من خلال المنام، أفهل ترى أن قضية عقدية في الدرجة العليا من الأهمية، وتشابه في ذلك ثبوت نبوة شخص عن الله، تثبت برؤيا منامية؟

وضمن نفس المسار في إبعاد الحالة العلمية والتعقلية، فإن هؤلاء لا يكتفون بهذا المقدار من تغييب المقاييس الصحيحة في معرفة الأفكار والدعوات، وإنما يضيفون إلى ذلك ممارسة أخرى وهي الاعتماد على الاستشارات لاتخاذ قرار بتصحيح طريقة أصحاب هذه الدعوات والانضمام إليهم!! متجاهلين مع سبق الاصرار أنه لو فتح هذا الباب على مستوى العقائد لكان الأمر

(١) بالطبع لا بد من استثناء رؤى الأنبياء والمرسلين، كنبى الله ابراهيم، ويوسف.

(٢) الكافي ٣/ ٤٨٢.

مشكلاً غاية الاشكال، فلو جاء مسيحي في بلاد المسلمين وطلب منهم أن يستخبروا على أن ينضموا إلى المسيحية ويتركوا الاسلام، إذا وافقت الخيرة الايجاب! ويتركوا ذلك لو جاءت بالسلب! هل سيكون هذا صحيحاً؟

فإنه لو استخار من هؤلاء الناس ١٠٠ شخص، وجاءت الخيرة موافقة ب ٣٠، فهو رابح على كل حال. وما نحن فيه هو من هذا القبيل، فإن بعض هذه الحركات تطلب من الشخص أن يفكر في الأمر فإذا رأى أحداً في المنام (يلبس عمامة خضراء وهو من أبناء الأربعين وعليه هالة نور...) يخبره عن المهدي، فهذا علامة صحة دعواهم، وهم هنا يرسمون له مساراً في اللاوعي ولوحة يصممونها ويخزنونها لكي تناسب بهدوء عندما يتخلد إلى النوم حيث انشغل فكره بها.. فيأتي في اليوم الثاني مصداقاً لما قالوه!

وإذا لم ير شيئاً أو رأى شيئاً مخالفاً لذلك، فإنهم يطلبون منه الاستخارة على الانضمام إليهم، وبالفعل يستخير، وهم في الربح ولن يخسروا شيئاً فإن احتمال أن تأتي الاستخارة بالإيجاب مساو لاحتمال السلب، فإن جاء الأول ربحوا عنصراً جديداً وإن كان الثاني فلم يخسروا شيئاً!

لقد ذكرنا في موضع آخر أن الثابت من الاستخارة؛ هو ما يرتبط بالأفعال المباحة التي لا يقتزن بها حكم الزامي (وجوباً أو تحريماً) بل حتى الاستجابي في بعض وجوهه، فلا يجوز أن يستخير الانسان

على أن يصلي أو أن يؤمن بالله أو أن يفعل حراماً، أو أن يتبع شخصاً على أنه المهدي أو ينتمي إلى فرقة معينة! أو أن يترك الاسلام! وإنما يحكم عقله وضمن المقاييس الشرعية فإن كان الانتفاء إليه على وفق هدى الدين والعقائد فهو واجب وإلا فحرام!

الثالث: موقفها تجاه المرجعية الدينية:

يعتقد الإمامية أن المرجعية الدينية هي الحافظ لحدود المجتمع المؤمن والمراجع هم المرابطون على ثغور المذهب والصائون لعقائده وفقهه، وهي أعظم نقاط قوة هذا المذهب والطائفة، وسيكونون أول الناصرين للإمام المهدي عند ظهوره، كما سيكون متوجاً لأعمالهم حتى تصل إلى كماها، فإذا جاءت فئة تزعم المهدوية وتعادي المرجعية الدينية الشيعية فلا ريب أنها مشبوهة! إذ هي تسير على خلاف القاعدة المذكورة آنفاً.

ومن اللطيف أن كل هذه الحركات المدعية للمهدوية كذباً في المجتمع الشيعي قد بنت كيائها وأسست أساسها، ونظمت ثقافتها على أساس المعاداة للمرجعية الدينية المخلصة، وعملت على فصل الناس عنها! بل وصلت في بعض نسخها المتطرفة كـ (جند السماء) كما سموا أنفسهم إلى التخطيط لقتل مراجع الدين أولاً!! ثم التشية بمدرسي العلم والفقه في الحوزة العلمية في النجف ثانياً!

ولعلك تلاحظ عزيزي القارئ متسائلاً: ماذا ينفع الإمام

المهدي ﷺ قتلُ أعلام الدين الذين انحنت ظهورهم ونحلت قواهم وأنفقوا أعمارهم في تنقيح روايات أجداده وهداية الناس إلى معالم دينهم؟

الرابع: سلوه عن العظائم التي لا يجيب فيها إلا مثله

نظراً لأن هذا الموقع المههم على المستوى الديني والدنيوي هو مطمع للكثير فلذلك تعددت الادعاءات الكاذبة فيه، ولأنه لا بد من بينة وبرهان، ومن البينة ما اشار إليه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عندما سئل: إذا كان ذلك وادعى مدعٍ فماذا نصنع؟ قال: سلوه عن العظائم التي لا يجيب فيها إلا مثله!

والعظائم هذه من الممكن أن تفسر بنحوين: المسائل العلمية المعضلة التي لا تأتي من أبواب العلم العادي المكتسب، فإن ما يأتي من خلال العلم العادي المكتسب يمكن لأي شخص بمزيد من التحصيل والتعلم الحصول عليه! فالسؤال في المسائل الفقهية العادية يمكن الاجابة عليه من خلال التعلم، وهكذا في مسائل الطب وغير ذلك. غير أن هناك مسائل تشير بوضوح إلى ارتباط من يسأل فيجيب بالله تعالى من قبيل ما قال عيسى بن مريم ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١).

والثاني: في المسائل العملية التي لا يستطيعها غير المتصل بالله تعالى وإلا المؤيد بقوته، مثل أن يقال لهم وهذا باب تحد مفتوح لهذه الحركات، نريد منك يا من تدعي أنك المهدي أو أنك بابه أن تصنع لنا شيئاً في مكان ما.. هذه أحوال المسلمين أمامك في كل مكان، انتخب لنا مكاناً منها وقل إنني سأصنع التغيير الكذائي فيه، وهؤلاء أتباع أهل البيت ومعاناتهم في أماكن متعددة من الدنيا، أخبرنا عن عدلٍ ستشره فيهم! وعن فسادٍ ستقلعه منهم! أنت المدعي أنك المهدي وهو سيملاً الأرض عدلاً.. لا نريد منك أن تملأ الأرض كلها! نريدك أن تنشر عدلاً في بلد واحد فقط وباختيارك! وبالطبع لن يفعل هؤلاء المدعون شيئاً ولو بقوا مئات السنين لأنهم كذبة ولا يتصلون بخالقهم، وحالهم كحال أي واحد من الناس لا حول لهم ولا قوة، بل حالهم أسوأ فإن هذا الإنسان المؤمن العادي لا يدعي شيئاً أكبر من شخصيته ولا من طاقته وقوته بينما هؤلاء المدعون يزعمون أشياء أكبر!

بعض هؤلاء الكذبة منذ عشرين سنة وهم يزعمون مهدويتهم أو كونهم أبواباً للإمام ولا يقدمون برهاناً واحداً ولا بينة على ذلك.

لقد أحسن أبو سهل النوبختي وكان شخصية مهمة ومتكلماً بارعاً عند الشيعة كما نقل عنه الشيخ الطوسي عندما سخر بالحلاج عند ادعائه الوكالة لصاحب الزمان، وهو بذلك يقدم لمن بعده برنامجاً في الاحتجاج واكتشاف الكاذب:

«لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه، وقع له أن أبا سهل إسماعيل بن علي النوبختي (عليه السلام) ممن تجوز عليه مخرقته وتتم عليه حيلته، فوجه إليه يستدعيه وظن أن أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الامر بفطر جهله، وقدر أن يستجره إليه فيتمخرق (به) ويتسوف بانقياده على غيره، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة، لقدر أبي سهل في أنفس الناس ومحلّه من العلم والأدب أيضا عندهم، ويقول له في مراسلته إياه: إني وكيل صاحب الزمان (عليه السلام) - وبهذا أولا كان يستجر الجهال ثم يعلو منه إلى غيره - وقد أمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوي نفسك، ولا ترتاب بهذا الامر.

فأرسل إليه أبو سهل رضي الله عنه يقول له: إني أسألك أمراً يسيراً يخف مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك (!) من الدلائل والبراهين، وهو أنني رجل أحب الجوّاري وأصبو إليهن (!!)، ولي منهن عدة أتخطاهن والشيب يبعدي عنهن [ويغضني إليهن] وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة، وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهن ذلك، وإلا انكشف أمري عندهن، فصار القرب بعداً والوصال هجراً، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيتي سوداء، فإني طوع يديك، وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع ما لي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة.

فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً، ولم يرسل إليه رسولاً، وصيره أبو سهل رضي الله عنه أحدىثة وضحكة ويطنز به عند كل أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه.^(١)

(١) الغيبة - الشيخ الطوسي - ج ١ - الصفحة ٤٢٣.

مسائل مهمة في القضية المهدوية

تتميز قضية الإمام المهدي عليه السلام بأنها ذات أهمية قصوى بالنسبة للإنسان المسلم، لجهات:

الأولى:

أنها قضية عقدية، ويتعامل الناس مع القضايا العقدية بأهمية فائقة نظراً لأن عقيدة الإنسان تحدد مصيره في الحياة وفي العالم الآخر. ومما يقرب أهمية القضايا العقدية في الحياة الدنيوية أنك ترى الحوار بين الأديان يتناول عادة القضايا العقائدية دون القضايا الفقهية أو التاريخية فنادرًا يحدث أن يبحث المسلمون مع المسيحيين في حرمة لحم الخنزير أو في حرمة شرب الخمر ولكن يتم النقاش في قضايا عقائدية مثل إبطال التثليث في العقيدة المسيحية، بل حتى في داخل الاطار الديني الواحد تحظى القضايا العقائدية بالاهتمام

الأكبر، فترى النقاش مثلاً بين المسلمين في مسائل العقيدة مثل قضايا الإمامة والخلافة أكثر مما يناقشون مسائل الفقه كالكفر والتمام والوقت في الصلاة.

الثانية:

أنها ليست قضية اسلامية فقط بل هي قضية كونية تتجاوز حدود الدين الإسلامي وأتباعه، من السنة والشيعة فاليهود والمسيحيون^(١) يعتقدون بالمهدي ضمن فكرة المنقذ المخلص، بل يتحدث العارفون بالثقافة الزرادشتية عن وجود نصوص في كتابهم تشير إلى مصلح يأتي في آخر الزمان، وهكذا الحال بالنسبة إلى البوذيين فيما نقل عنهم.

(١) العجيب ان بعض الكتاب رأى في هذه الميزة الاستثنائية التي تدل على أن هذه العقيدة هي من نقاط الاشتراك بين الديانات التوحيدية بل غيرها وأنها قضية ينتهي إليها العقل السليم. رأى أن هذا يعني أن الشيعة الاثني عشرية قد (استوردوا) هذه العقيدة من ديانات آخر!! غافلاً أو متغافلاً عن أن الأحاديث في قضية المهدي أكثر من أن تُرد، وما فعله بعضهم كابن خلدون من رد أحاديث المهدي بضعفها فقد رد عليه صغرياً بأن قسماً منها صحيح، وأن قوله ذلك ناشئ من عدم تخصصه، على أن الأخبار بلغت درجة التواتر ولو الاجمالي أو المعنوي ومعه لا معنى للبحث في أسانيد كل خبر بمفرده. وقد كفى المؤونة الشيخ أحمد شاکر في تخريجه لأحاديث المسند وتعليقه عليه حيث قال: أما ابن خلدون فقد قفا ما ليس له به علم واقتحم قحماً لم يكن من رجاله.. وأنه تهافت في الفصل الذي عقده في مقدمته للمهدي تهافتاً عجيباً وغلطاً غلطاً واضحاً... وأنه لم يحسن قول المحدثين الجرح مقدّم على التعديل ولو اطلع على أقوالهم وفقهها ما قال شيئاً مما قال.

الثالثة:

انها تستتبع عملاً في الحياة ومنهجاً. وليس كل القضايا العقائدية من هذا النوع، فلو فرضنا مثلاً قضية تجسم أعمال الإنسان التي قام بها في الدنيا يوم القيامة وهل تتجسم او لا تتجسم؟ أو أن جزاءها هو الحاضر؟ فهي وإن كانت مسألة محل اختلاف بين العلماء، ناشئ من أن قوله تعالى ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(١) هل المقصود من (ما عملوا) هو نفس الأعمال أي تأتي متجسده بالأبعاد الثلاثية كما يقولون؟ أو أن المقصود هو جزاؤها وثوابها أو عقابها؟

وسواء كان هذا الرأي أو ذاك فإنه لا يغير مسار الإنسان في الحياة بشكل واضح.. لكن قضية الإمام المهدي تختلف! فمن لا يعتقد اساساً ان هناك إماماً وهادياً وخليفة لرسول الله ﷺ يختلف في مساره عمن يعتقد بالمهدي وأن الله سينصره ويظهره.

بل إن الذي يعتقد أن المهدي لم يولد وإنما يولد في آخر الزمان كما هو عليه غالب مدرسة الخلفاء يختلف عمن يقول بولادته وغيبته وأنه عين نوابا عامين في غيبته الكبرى بمواصفات معينة وأن على الناس ان يتبعوهم وأنه ملزم بتقليد أحدهم.. وهذا بلا شك يختلف في مساره عن ذاك.

فقضية المهدي والاعتقاد به من العقائد التي تستتبع عملاً وتحدد مساراً لهذا لا يستطيع شخص أن يقول هذه قضية عفى عليها الزمان! ولا داعي إلى إعادتها والبحث عنها من جديد؟ كلا، هي سؤال حاضر لأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.

الاعتقاد بالمهدي وأفكار خاطئة:

وكما أن الاعتقاد بالمهدي وشؤونه قضية هامة، فإن من المهم تطهير هذا الاعتقاد عن الشوائب والممارسات التي لا تناسب معها ومع الإيمان بها.

فمن الأفكار الخاطئة:

إتخاذ الاعتقاد بالمهدي بديلاً عن العمل والتحرك للإصلاح. وهذه الفكرة الخاطئة على درجات؛ فإن قسماً من الناس يعتقدون أن الأمور ما دامت لا تصلح إلا في زمان الإمام الحجة فلا حاجة لأن يتحرك بأي نحو في الإصلاح لأن الأمور لا تصلح إلا على يد الإمام! بل إن بعضهم (يتقدمون) خطوة إلى الأمام قائلين بأنه وفقاً لما ورد من روايات فإن كل راية قبل زمان المهدي هي راية ضلال.. فإن كل عمل اصلاحي، أو حركة باتجاه بناء المجتمع المسلم، فإن ذلك مشمول بتلك الروايات، وقد صنفتها الروايات بأنها راية ضلال! بهذه الرواية وهي تقول أنها راية ضلال..

إن هذه الفكرة الخاطئة تستتبع ممارسة خاطئة وتحول الانتظار

إلى أمر سلبي غير فاعل، في نشر الخير وإقامة العدل وحل مشاكل المؤمنين؛ وتصور ماذا ستكون الحالة لو أن كل أتباع الإمام المهدي والمؤمنين بهم عطّلوا طاقاتهم عن القيام بما هو في صالح المجتمع!

ولا ريب أن كل راية تنصب في مقابل راية الإمام المهدي وبموازاتها فإنها تعتبر راية ضلال ﴿فَمَآذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(١) وأما إذا لم تكن ضمن هذا الاطار، ولم تكن صناعة منهج في مقابل منهج الإمام، بل هي امتداد لحركته واستغلال بتوجيهاته وتوصيات آبائه، فما الذي يجعلها راية ضلال؟ إذا كان من يقوم بهذه النشاطات والاعمال هم ممن يؤمنون بالإمام المهدي، ويعتقدون بظهوره، ويتبعون العلماء الذين عينهم بالتعيين العام، وأمر بالرجوع إليهم فليسوا مشمولين لتلك الروايات ولا يدخلون فيها.

الاغراق في علامات الظهور

ومن الافكار التي قد تستتبع ممارسة خاطئة: الإغراق في الحديث عن علامات ظهور^(٢) الإمام الحجة عليه السلام.. ولا ريب أن

(١) يونس / ٣٢.

(٢) علامات الظهور هي: عبارة عن إشارات تحدثت عنها روايات المعصومين عليه السلام، وقد قسمتها إلى ما هو حتمي وما هو غير حتمي، ومن ذلك ما نقله الشيخ الصدوق في كمال الدين / ٦٧٨ مما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: قبل قيام القائم خمس علامات محتموات اليماني، والسفنياني، والصبيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء..

هناك علامات، وارهاسات تشير إلى زمان ظهور الإمام ﷺ وخروجه، والاعتقاد بها يشكل جزءاً من ثقافة الانتظار والاعتقاد بالمهدي، لكننا نلاحظ أن هناك مبالغة واغراقاً من بعض فئات المؤمنين في هذا الأمر ورصده وتوقعه.

ومنذ أربعة عقود من الزمان تقريباً يوجد الكثير من الكتب والمقالات والكلمات والمحاضرات، كلها تدور ضمن هذا الفلك، والغريب أن هذا يحصل في الطائفتين المسلمتين. ففي أفق مدرسة الخلفاء يكثر الحديث عن علامات وأشراط الساعة الكبرى ومنها ظهور المهدي، وقيام الدجال والخسف، وعند الشيعة كتبت كتب متخصصة في هذا وبعضهم حدد وقت الخروج ولو بشكل تقريبي فلا يكاد حدث يحصل إلا ووجد له من روايات الملاحم ما يناسبها، فإذا ظهرت داعش فهناك ما يناسبها، وتستدعي روايات السفيناني وتطبق على زعماء داعش.. وإذا حصل ما سمي بالربيع العربي فقد (خلعت العرب أزمته)! وإذا توفي أحد الزعماء ف (من يضمن لي موت فلان أضمن له القائم).

ضمن هذه الموجه صدرت كتب مثل (الجزيرة الخضراء)، (بيان الأئمة) وفي هذا الثاني اعتبر مؤلفه أن من علامات الظهور أن آخر مرجع في النجف هو السيد الخوئي وبعد لا يكون مجتهد

وقد تكون هذه الرواية أحسن ما في الباب متناً، ولكن في سندها عمر بن حنظلة وفيه نقاش وكلام بين الأعلام بين من يقبل روايته وبين من لا يرى له توثيقاً.

مقلد غيره!! ومن الواضح أن الأحداث الحاصلة بعد وفاة
المرحوم السيد الخوئي قد كذبت هذا الخبر! وكم في الكتاب من
أمثال ذلك!^(١)

هنا لا بد أن نشير إلى أنه لا يوجد دليل على أن تطبيق هذا العالم،
الحديث الفلاني على الحدث الفلاني الذي نشاهده هو صحيح، فما
دامت الأحاديث خالية من التواريخ الدقيقة، والأسماء المفصلة
فبالإمكان أن يأتي شخص قبل خمسمائة سنة ويفسر تلك الأحاديث
بمقتضى الأحداث التي جرت في زمانه! لا سيما وأن بعضها يشير
إلى دولة بني العباس مثلاً! وبالإمكان أن يأتي شخص بعده بألف
سنة ويفسر تلك الأحاديث ويطبقها على الأحداث المعاصرة له!
ما الذي يجعل تفسيري أنا أولى من تفسيره أو تفسيره أولى من
تفسيره؟

ثم أن من مشاكل هذه التفاسير إنها ستنتهي إلى نحو من الأنحاء
لتوقيت خروج الإمام والذي هو في دائرة المنع والنهي. ومن الثابت
عند الشيعة أن التوقيت^(٢) التحقيقي، بل حتى التقريبي هو منهي

(١) للتفصيل يمكن مراجعة الكتاب الناقد للكتاب المذكور الذي ألفه المرحوم السيد
جعفر مرتضى العاملي بعنوان) بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان(. وقد نقل القول
المذكور عنه في ص ٣٤.

(٢) في الكافي ١/ ٣٦٨ روايات متعددة، منها حينما سأل الفضيل بن يسار الإمام أبا
جعفر الباقر: ﴿لهذا الامر وقت؟ فقال: كذب الوقتون، كذب الوقتون، كذب
الوقتون! وعندما سأل مهزم كذلك الإمام أبا عبد الله الصادق: ﴿جعلت فداك

عنه وغير مرغوب فيه.

بل إن من الأخطار لتطبيق الأحداث على علامات الظهور، التخوف ان يسري التشكيك إلى أصل القضية المهدوية عند تخلف تلك العلامات او تفسيرها، فإذا قيل ان العالم الفلاني لن يموت حتى يسلم الراية إلى المهدي، أو أن فلانا من لدى القائلين من أخبار بهذا النحو! ربما يسري الاعتقاد عند بعض الأتباع والشباب بخطأ هذه الكلمات إلى تحطئة أصل القضية المهدوية، وأنه ربما تكون قضايا الغيبة والعصمة والظهور.. كلها من هذا القبيل. ولا ريب أن في ذلك خطورة كبيرة على عقيدة الناس!

ومن أخطار تلك التفسيرات التخوف من فسح المجال لأهل الشهوات والأهواء والمتسلقين حتى يستفيدوا من هذه الفرصة. فإن من مصلحة أهل الأهواء وأصحاب الدعوات الكاذبة انشغال الناس بهذه العلامات وتفسيرها على أننا في زمانها فيقوم هؤلاء بادعاء أنهم من شخصيات ذلك الزمان، فهذا يدعي أنه الياني، وذلك يصّر على أنه الحسني وهكذا! وفي ظل وجود الاحباط وتراكم المشاكل قد يصدق هؤلاء مجاميع من الناس كما نجد في عصرنا الحاضر في بعض المجتمعات الشيعية.

أخبرني عن هذا الامر الذي ننتظر، متى هو؟ فقال: يا مهزم كذب الوقتون وهلك المستعجلون ونجا المسلمون.

أحد المحققين في شؤون الدعوات المهدوية الكاذبة يقول: إنه خلال عشرين سنة برز في العراق تسع حركات كاذبة، يعني ذلك بمعدل كل سنتين تبرز حركة كاذبة، برجالها وأفكارها وتستقطب قسماً من الناس!

لأجل ذلك نقول إننا لا نرى مصلحة في الاغراق في هذا الموضوع، ونلتزم بما ورد عنهم: (يا فضيل اعرف إمامك، فإنك إذا عرفت إمامك لم يضررك، تقدم هذا الامر أو تأخر، ومن عرف إمامه ثم مات قبل ان يقوم صاحب هذا الامر، كان بمنزلة من كان قاعداً في عسكره، لا بل بمنزلة من قعد تحت لوائه)^(١) و(ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضره، تقدم هذا الامر أو تأخر ومن مات وهو عارف لإمامه، كان كمن هو مع القائم في فسطاطه) كما في رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام).

وقد تعرضنا في موضع آخر لبعض الحركات الكاذبة من أدياء المهدوية وبيناً طريق النجاة منها فليراجع.

(١) الكافي ١/ ٣٧١ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، وكذلك الرواية التالية عن أبيه الباقر (عليه السلام).

الإمام المهدي عدالة منتظرة ومسؤولية حاضرة

حدّثنا أحمد بن محمّد بن يحيى العطار رحمته الله قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عثمان بن عيسى الكلابيّ، عن خالد بن نجيج، عن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ للقائم غيبة قبل أن يقوم، قلت له: ولم؟ قال: يخاف وأوماً بيده إلى بطنه. ثمّ قال: يا زرارة وهو المنتظر، وهو الذي يشكّ النَّاس في ولادته، منهم من يقول: هو حمل، ومنهم من يقول: هو غائب، ومنهم من يقول: ما ولد، ومنهم من يقول: ولد قبل وفاة أبيه بسنتين. غير أنّ الله تبارك وتعالى يحب أن يمتحن الشيعة فعند ذلك يرتاب المبطلون.

قال زرارة: فقلت: جعلت فداك فإنّ أدركت ذلك الزّمان فأبّي شيء أعمل قال: يا زرارة إن أدركت ذلك الزّمان فأدم هذا الدّعاء: «اللّهم عزّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف

نبيّك، اللهمّ عرّفني رسولك فانّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللهمّ عرفني حجّتك فانّك إن لم تعرفني حجّتك ضللت عن ديني». ^(١)

ولهذا الدعاء أهمية كبيرة، لجهة التأكيد عليه فهو مروي بأسانيد متعددة، وكما أن الإمام الصادق عليه السلام قد علم زرارة ماذا يصنع لو أدرك زمان الغيبة فإن العمري سفير الإمام الحجة الثاني قد علمه بعض أصحابه من شيعة الإمام عليه السلام.

ومنها ما يرتبط بمضمونه حيث التركيز فيه على المعرفة العقديّة بالله ﷻ وبالنبي والإمام، وهي متقدمة بمراتب على سائر المعارف.. فلو فرضنا أن معرفة اللغة والتفسير مهمة لأنه يتوقف عليها معرفة مرادات الآيات القرآنية الكريمة إلا أنها من حيث رتبها وأهميتها لا ترقى معرفة الإمام أو معرفة النبي فضلاً عن معرفة الله ﷻ لأن هذه مرتبتها مرتبة الأصول. وخريطة الطريق، البوصلة وهذه مرتبتها مرتبة الفروع وتفاصيل المعرفة.

ولو فرضنا أن شخصاً لم يعرف الله أو عرفه بشكل ناقص فإنه

(١) ذكره الشيخ الصدوق في كمال الدين ١ / ٣٤٢ في مواضع متعددة وبأسانيد كذلك، ويلحظ فيه أن أصل الحديث عن الإمام الصادق وأنه يتحدث مع أصحابه عن غيبة الإمام المهدي، ويعين الوظيفة لمن يدرك ذلك الوقت ماذا يصنع! كما نقله في موضع آخر ١ / ٥١٢ راوياً هذا القسم من دعاء طويل عن السفير الثاني للإمام الحجة محمد بن عثمان العمري.

لا ينفعه كثيراً أن يتعلم مسألة شرعية، وهكذا لو تعلم تفسير القرآن أو تجويده ولكنه لم يتعرف على النبي الأكرم ﷺ فلن يكون ذلك نافعاً له أو شافعاً له، وكذا الحال في عقيدتنا الإمامية معرفة الإمام المعصوم ﷺ

ضمن هذا الإطار وجدنا أحاديث النبي ﷺ عن قضايا معرفة الإمامة بلغت عدداً كبيراً جداً عند الإمامية وبلغت حداً معقولاً يشكل دليلاً علمياً عند غير الإمامية لمن تدبر وتأمل .

وقضية الإمام المهدي ﷺ هي واحدة من هذه القضايا فإن أصل القضية المهدوية هو وجود مخلص إلهي يأتي في الزمن الأخير لكي يغير وضع العالم وقيم العدل ويرفع الظلم ويظهر الأرض هذا الأمر تتفق عليه الديانات السماوية وإن اختلفت آراؤهم حول المخلصين فيها.

في الحالة الإسلامية: هذا المخلص الإلهي اسمه المهدي وأنه من ذرية النبي محمد ﷺ وهذا من الأمور المتفق عليها بين المسلمين إلا من شذ منهم ولا يعبأ به لخرقه للإجماع بل لمخالفته صريح الروايات الكثيرة أحدهم كتب كتاب قبل مدة من الزمان بعد النبي خير البشر لا مهدي ينتظر فاستقبل بالإستهجان من المدرسة السلفية التي ينتمي إليها هذا المؤلف بحسب الفرض قبل سائر المسلمين، لماذا؟

لأن الروايات التي تتحدث أن القضية المهدوية، قضية إسلامية

وأن الروايات الموجودة فيها صحيحة، صَحَّحها كبار أئمتهم السابقين واللاحقين، فإذا جاء من يقول: لا مهدي ينتظر يكون خرقاً للإجماع ودفعاً للأحاديث الكثيرة ولا يعبأ به. نعم هناك خلاف بين فريق من اتباع مدرسة الخلافة وبين الإمامية في أن الإمام المهدي الموعود الذي هو من ذرية النبي والذي يهيء الأرض ويسط فيها العدل ويدفع عنها الظلم والفساد ولد في الزمن السابق أو يولد قبل ظهوره بمدة كافية ؟

محل الخلاف هنا.. ويظهر أن أول من شكك في ولادة الإمام المهدي عليه السلام كان محمد بن علي بن حزم الظاهري^(١) المتوفى سنة ٤٥٦ هـ بعد قريب من مئتين سنة، قرنين من الزمان من الولادة الفعلية للإمام حسب رأي الشيعة، وطول هذه المدة لم يوجد من يشكك في هذا الأمر بل كان المؤلفون قبل ابن حزم يتعاملون على أن القضية ثابتة وألف كثير منهم في ميلاده كتباً مثل: مطالب السؤول لمحمد بن طلحة الشافعي، والبيان للكنجي الشافعي، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي.. وغيرهم في مراحلهم الزمنية المختلفة صرحوا فيها أن الحسن بن علي العسكري عليه السلام ولد له ولد يقال له محمد ويلقب

(١) ابن حزم؛ علي بن أحمد بن حزم الظاهري، أبو محمد: ولد بقرطبة الأندلس ت ٤٥٦ هـ. كان حافظاً للأحاديث يستنبط الأحكام منها ومن الكتاب والسنة واجه كثيراً من العلماء والفقهاء، حيث أجمعوا على تضليله فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية ليلى (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها. وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان. أشهر مصنفاته «الفصل في الملل والأهواء والنحل، والمحلى وغيرها».

بالمهدي وهو الذي وردت فيه الروايات عن رسول الله ﷺ.

جاء ابن حزم الظاهري الذي يلقب أحياناً باليزيدي أو الأموي^(١) نظراً لأن جده الأعلى من موالى يزيد بن أبي سفيان أخ معاوية بن أبي سفيان وكان والياً على الشام من قبل الخليفة الثاني، أسس مذهباً سمي باسم الظاهرية ذكر في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) بأن الإمامية تذهب إلى أن محمد المهدي بن الحسن العسكري الذي لم يولد قط، يقولون أنه ولد للحسن العسكري وهو المهدي عندهم.

بالطبع فإن إنكار وجود المهدي وولادته يخلص هؤلاء من متواليات مشكلة عقدية، فلا بد أن يؤمنوا به لو أقروا بوجوده! إذ أن الروايات بشأنه أوضح من الشمس وأبين من الأمس! فربما رأى بعض هؤلاء أن السبيل الأفضل للخروج من هذا المأزق هو إنكار وجوده، بمعنى أنه وإن كان عقيدة ثابتة إلا أنه ليس موجوداً ولا مولوداً!

العقيدة المهدوية هل هي نتاج الحرمان السياسي؟

هذا وقد زاد أحد الدعاة من مدرسة الخلفاء في طنبور الإنكار نغمة وقال في إحدى الجرائد المحلية؛ بأن الذي دفع الشيعة إلى الإيمان بالمهدي عاملان:

(١) فكان جده يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي -أخ معاوية بن أبي سفيان كما عن الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٧٣.

الأول:

أن الشيعة كانوا يعيشون الحرمان السياسي في أغلب فتراتهم، وأئمتهم عُزلوا عن إدارة الحياة فأثر هذا الأمر فيهم نفسياً وجعلهم يتطلعون إلى مخلص ومنقذ يغير هذه الأوضاع فكانت فكرة المهدي أحسن طريق لهم. وهي بهذا أشبه بردة فعل على الحالة السياسية المتأزمة، والعزلة الاجتماعية، فهم بهذا يوجدون عزاء لأنفسهم بأن المستقبل معهم وأنهم سيتصرون.

والثاني:

قال إن قسماً من الناس يرغبون بالتغيير الكلي الفوري و لذا لا يعملون على السنن الطبيعية العادية، بل يريدون ان يأتي أحدهم ويضغط زراً هكذا وينقلب الوضع تماماً إلى الصلاح والعدل، فرغبة هؤلاء في التغيير الفوري جعلتهم يؤمنون بفكرة المهدي.

وأما الجواب:

عن القسم الأول من كلامه فهو: إذا كان نشوء العقائد هو نتيجة لحالات نفسية عند البشر فهذا الكلام ننقله إلى موضوع الإيمان بالله، وأنئذ سيتم الاتفاق مع الماديين والماركسيين.. فإن هؤلاء

يقولون: إن إيمان البشر بالله قائم على خيال، حيث وجدوا في الطبيعة قوى ضخمة وعاتية، من زلازل، وبراكين، وعواصف

وغيرها، ولم يعرفوا تفسيرها العلمي، فنشأ لديهم خوف داخلي دفعهم إلى الاعتقاد بوجود قوة خارقة غير مرئية سموها الله وإلا فلا وجود له!! إنما خلقتهم كما زعم الماديون حاجة الناس للاحتماء بهذه المظاهر الطبيعية الخارقة التي لا يتمكنون من مواجهتها ولا يعرفون تفسيرها العلمي!.

لهذا الداعية نقول: اذا كنت تعتقد ان الماديين خاطئون وأن الإيمان بالله حاجة فطرية موجودة في داخل أعماق الإنسان لا يستطيع التكر لها وقامت عليها الأدلة والبراهين.. فمثل ما يقال هناك يقال هنا.

نعم يمكن للحاجة النفسية أن تخلق فكرة او عقيدة لشخص أو شخصين، أما ان تتحول إلى مسار لدى كل المؤمنين بالله.. في أنهم خافوا من قضايا الطبيعة فخلقوا لهم إلهاً!! وعقيدة بعبادته.. هذا شيء غير معقول!

وهكذا الحال بالنسبة لقضية الإمام المهدي، فإن شيعة أهل البيت في أدوار التاريخ المختلفة وفيهم العباقر، والعلماء، وفيهم الفقهاء، والمحققون المدققون، بل إن أعظم فلاسفة الإسلام هم من شيعة أهل البيت ﷺ أهؤلاء كلهم حدث لديهم إحباط سياسي وخلقوا لهم قضية المهدي؟.

لم يقف أحد من هؤلاء العلماء والفقهاء والفلاسفة ليتساءل، او

ليفكر في الأمر ويرى أن القضية هي عبارة عن انفعال نفسي سلبي بالأوضاع السيئة فخلقوا لهم هذه العقيدة!! لم يلتفت أي من هؤلاء العباقرة والمدققين إلى ما التفت إليه هذا الداعية؟

ثم لنفترض جدلاً أن هذا الكلام صحيح في أزمنة الحرمان السياسي، والاحباط!! ماذا عن أزمنة السيطرة والحكم؟

في هذا العصر بل في عصور سبقت كان لديهم الحكم وصاروا رؤساء دول! ومع ذلك بقوا متمسكين بقضية الإمام المهدي؟ بل ربما زاد حضور القضية المهدوية في تلك الفترات مثل فترة حكم الدولة الصفوية!

لقد حكم شيعة أهل البيت مناطق كبيرة أو صغيرة من العالم الاسلامي في فترات تاريخية متعددة وامتد بعضها قروناً، فلو راجعت تاريخ الاسلام^(١)، لوجدت فيه الدولة البويهية ودولة الأدارسة والحمدانيين والفاطميين وغيرها إلى زمان الدولة الصفوية.. فلماذا لم يتخل هؤلاء عن الاعتقاد بالإمام المهدي إذا كان ذلك الاعتقاد ناتجاً عن الاحباط السياسي؟

وأما القسم الثاني من كلامه: أن الشيعة يرغبون في التغيير الكلي

(١) حتى ليعد القرن الرابع إلى الخامس هو قرن الدول الشيعية في العالم الاسلامي، وللتفصيل يمكن مراجعة كتاب (دول الشيعة في التاريخ) للمرحوم العلامة الشيخ محمد جواد مغنية.

الفوري ولا يتبعون السنن الطبيعية، يريدون بضغطة زر ويتغير العالم... هذا فيه مجافاة للواقع، وغير صحيح.

بل إن الذين يتحدثون عن النهضة المهدوية يتحدثون عن عمل جاد، عن حركة طويلة تعتمد على ان الخير لا ينتشر إلا من حيث انتشر الشر وتماًلاً قسطاً كما ملئت جوراً، و(كما) فيها إشارة إلى الطريقة كما جاء في أحد تفاسيرها.

ما هي الطريقة التي ملئت بها الأرض ظلماً وجوراً؟ بوجود طواغيت السياسة والمال والأفكار الفاسدة، والاعلام المضلل، فإذا وجد في مقابل ذلك إعلام نظيف وواع، وصار المال في خدمة الخير والأهداف العالية دون الشهوات والعبث، وصار المتقدمون في المجتمع أهل التقوى والمعرفة والصالحين دون أهل الفساد والقوة العاتية، عندئذ سيتم امتلاء الأرض عدلاً وإنصافاً، وسيعم الخير.

إن من يراجع الكتب المؤلفة^(١) في يوم الظهور ويقرأ الروايات الواردة في خريطة الحركة المهدوية لا يرى أثراً لما ذكره ذلك الداعية من التغير اللحظي والفوري الذي يحصل بعد ظهور الإمام المهدي، بل يرى استعدادات، وحروباً عسكرية ومقاومة شرسة لخطوط الضلال واستخدام لمعطيات العلم والتقنية حيث يتطور

(١) للتفصيل يمكن مراجعة كتاب (ما بعد الظهور) للمرحوم الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر.

العلم في زمانه تطوراً كبيراً، ويكون ما لدى المهدي من العلم عشرات أضعاف ما هو متاح للناس، ولم يقل أحد بأن القضية تغير فوري بضغطة زر.

إذن.. هذا الكلام بأن إيمان الشيعة بالعقيدة المهدوية ناشئ من الحرمان السياسي أو على أثر رغبة في التغير الفوري لا يعتمد على قاعدة علمية.

فوق هذا نسأله: ما هو منهجك في معالجة قضية الإمام المهدي؟ نحن نعلم أن هذا الداعية ينتمي إلى المدرسة السلفية الخبرية.. وهنا نسأله: إذا كان مسلكك خبرياً؟ فماذا تصنع بهذه الأخبار المتضاربة الكثيرة عن النبي ﷺ في أصل القضية ولزوم الاعتقاد بها؟ يبقى أمر الاعتقاد بولادته ووجوده، وهذه قد أقام الشيعة عليها أدلتهم^(١)، ولك أن تقبلها أو تردّها! أما الإحالة إلى مثل الشعور بالإحباط السياسي من الأوضاع القائمة أو ما شابه لتفسير اعتقاد الشيعة بالإمام المهدي، فهذا ليس سليماً!

(١) ذكرناها في موضوع آخر، وملخص بعضها: أنه بعدما تحدد من خلال مجموع الأحاديث الواردة أن المهدي (من قريش) وأنه (من بني هاشم) و(من ولد الحسين) وأنه (التاسع منهم) فلا بد أن ينتج هذا أنه قد ولد فعلاً وإلا فلا يمكن أن يكون التاسع بعد وجوده بآلاف السنين! ومنها أن مقتضى التقارن بين الكتاب والعترة وأنهما لا يفترقان حتى يرادا الحوض؛ هو أن يكون إمام معصوم من العترة موجوداً في كل زمان، فلو خلي زماننا منه لافترقا، فيتعين أن يكون موجوداً وحياً.. هذا فضلاً عن شهادات النسابة وأهل المعرفة بها والمؤرخين ممن حكموا بولادته لأبيه العسكري.. وغيرها من الأدلة التي أقيمت.

المهدوية بين التواتر وحساب الاحتمالات:

نأتي هنا إلى طريقة أخرى أشار إليها^(١) الشيخ محمد باقر الايرواني حفظه الله وهو من أعيان تلامذة الشهيد السيد محمد باقر الصدر.. وهي طريقة حساب الاحتمال.

فإن للشهيد الصدر نظرية تسمى حساب الاحتمال وتجميع القرائن، تحدث عنها في كتابه الأسس المنطقية للاستقراء ونقلها للاستفادة منها إلى أكثر من مجال. فمن ذلك ما صنعه تلميذه الايرواني حيث نقل النظرية إلى بحث قضية الإمام المهدي عليه السلام واستفاد منها في الاستدلال. ونشير إليه بشكل مختصر، فهو يقول لاثبات القضايا التاريخية يمكن أن نسلك طريقين: التواتر وحساب الاحتمال.

في التواتر؛ على فرض وجود أخبار متواترة في قضية من القضايا، لا يصح أن يتم المناقشة في سند الأخبار ونقدها باعتبار أن في هذا الخبر مجهولاً أو في ذاك ضعيفاً، لأن المناقشة تلك إنما تصح فيما إذا لم يكن هناك تواتر، ولا علم بالتالي فنحن نريد أن نتعبد بالخبر وإن لم يكن يحصل لنا علم، فهنا محل النقاش في أخبار الآحاد وشبهها.

وأما مع فرض التواتر فقد حصل العلم، وحينها لا معنى

(١) في رسالة بعنوان: الإمام المهدي بين التواتر وحساب الاحتمال نشرها مركز الأبحاث العقائدية.

للبحث السندي في كل خبر! ومع النظر إلى كثرة ما جاء من أخبار المهدي من طرق السنة والشيعة لا محيص من الاقرار بالتواتر. وحتى لو اختلفت خصوصيات تلك الأخبار وتفصيلها فإنها في القدر المشترك بينها تكون يقينية.

والطريق الآخر هو حساب الاحتمال، وهو يصنع لنا يقينا تصاعدياً بمقدار ما تتراجع احتمالات الخلاف مثال: ان فلاناً لو كان مريضاً فأتى شخص وأخبر عن شفاؤه فهذا يصنع لنا علماً مثلاً بمقدار ٣٠٪ ويبقى مقدار ٧٠٪ في دائرة الشك والاحتمال المخالف، فإذا علمنا أنه ترك أخذ الدواء فهذا يرفع من احتمال الشفاء بنسبة ٧٠٪ ويبقى مثلاً ٣٠٪ فإذا رأينا جماعة يدخلون بيته لتهنئته بالشفاء فهذا يرفع النسبة إلى ٩٠٪ وينخفض الاحتمال المخالف إلى ١٠٪ فإذا رأيناه قد ذهب إلى العمل في اليوم الثاني فإن النسبة الموافقة ترتفع والمخالفة تنخفض إلى أن يحصل اليقين عندنا بشفاؤه..

وفي قضية الإمام المهدي كبحث تاريخي نرى الأمر هكذا، فنلاحظ أن لدينا روايات عن النبي محمد ﷺ، نتحدث عن الإمام المهدي وانه من ولد الحسين ومن قريش، يمكن تشكك في رواية أحدهم وفي وضوح أخرى، لكن في الجملة تصنع لدينا احتمال ٣٠٪ ثم نأتي ونرى ان هناك مثلاً ٢٠٠ حديث عن سائر الأئمة ﷺ مختلفة التعبيرات، وتحدث عن تفاصيل متعددة مثل أنه من ولد الحسين، وأن له غيبتين، وأن الناس سيكونون على طوائف في

هذه الغيبة، وأن الدعاء بكذا مستحب في زمان غيبته، وأن فيه من سنن الأنبياء كذا وكذا، ثم نأتي إلى كتب التاريخ ونرى فيها مثلاً أن الحكام العباسيين كانوا يترقبون الإمام المهدي، ولذلك عينوا مراقبين، فتشوا بيت الإمام العسكري، هذه تضيف لنا احتمالات جديدة في اليقين وتقلل نسبة الشك، ثم نذهب ونرى في حياة الإمام العسكري أنه ﷺ أطعم الطعام وأراه إلى ٤٠ شخصاً من أصحابه الخالص.. ثم في حياة المهدي نفسه أنه كتب مكاتيب وتوابع وعين سفراء جاءت أجوبته منسجمة مع ما عهد في خط الإمامة فبهذه القرائن السابقة يتشكل لدينا يقين تام بأن الإمام المهدي ﷺ قد ولد بالفعل.

هذا لمن لا ينتهج منهج الأخبار والاعتقاد عليها.

يبقى ما قاله في موضوع الانتظار: من أن الشيعة لأنهم ينتظرون مهدي آخر الزمان عطلوا الجهاد والحدود وصلوات الجمعة ولا يفعلون شيئاً سوى الانتظار.

وجوابنا: هو بسؤال فكل منا ينتظر طلوع الشمس غداً ولكن هل يبقى هذه الليلة في الظلام أو يرتب أوضاعه وأموره؟

لا ريب أنه يضيء بيته لكي يعيش هذه الليلة في الضياء وينجز مهامه ولا يقبل منه أن يقول لأن الشمس غدا سوف تشرق، فأنا أبيت في الظلام الآن ولا أفعل شيئاً.. شيعة أهل البيت هكذا،

ينتظرون ولكن في نفس الوقت يمارسون حياتهم الطبيعية، يقيمون أعمالهم بالوجه الذي يستطيعونه ويتصرفون على هذا الأساس.

صلاة الجمعة ليست معطلة عندهم، وإنما أمر إقامتها مرتبط برأي فقهي، نظراً لأن فقهاء الإمامية لم يغلقوا باب الاجتهاد، وما هو واجب اليوم قد لا يكون بالضرورة واجباً يوم غدٍ مع اختلاف الظروف، بل مع اختلاف استدلال الفقيه، ليس عند الإمامية قوالب اسمتية في الأحكام الفقهية، وإنما تتغير بحسب ما سبق.

وفي وقت من الأوقات كان الرأي الشائع عند فقهاءهم أن الجمعة مشترطة بحضور الإمام المعصوم، وبعضهم يرى شرط بسط اليد وإمكان تنفيذ الأوامر وحيث أنه لا ظهور له ولا بسط لليد فلم تكن واجبة، بينما كان في فترات آخر بخلاف ذلك.

وفي هذا الزمان ما يقطع حجة المتحجج. فالرأي الشائع الآن في هذا الزمان عند الإمامية هو أن صلاة الجمعة واجبة تخييراً بينها وبين الظهر، والجمعة أفضل بشرط أن تتوفر شرائطها ولم يلتزم الفقهاء المعاصرون بشرط حضور المعصوم، بل ولا حتى شرط بسط اليد فيها هي صلوات الجمعة تقام في أغلب إن لم يكن كل المناطق الشيعية..

ومنها ما ذكره من أن الشيعة عطلوا الجهاد بسبب فكرة

الانتظار!!

وهنا نستذكر المثل (رمتني بدائها وانسلت)^(١) فنسأل هذا القائل: من الذي قام بالجهاد السليم في الأمة في هذا الزمان؟ ومن بيض وجوه المجاهدين في مواجهة العدو الاسرائيلي غير أولئك الذين يهجمون على العدو وهم يصرخون يا مهدي! من الذي فعل ذلك غير شيعة أهل البيت؟

وأما مسألة الحدود: فهي كذلك تخضع لرأي فقهي، يقول إن الحد الشرعي يجب ان ينفذه حاكم شرعي وفقهه مبسوط اليد، وفي الأماكن التي بُسُطت فيها يد فقهاء أهل البيت نفذوا الأحكام الشرعية بمقدار استطاعتهم حسب ما تقتضيه الأدلة ولم يتوقف شيء من الالتزام بالواجبات والانتها عن المحرمات، ولا تم التوقف عن الحركة الاجتماعية، او السياسية والفكرية

هم يعتقدون بما نقل عن النبي ﷺ: (أفضل الأعمال انتظار الفرج) الانسان الراضي بالوضع الفاسد القائم، لا ينتظر شيئاً لأنه راض، أما المنسجم مع هذا الفساد الحاصل والطغيان الموجود فهو لا ينتظر شيئاً.

الذي ينتظر فهو الذي يعترض ويرفض الواقع الموجود، هو الذي يقول بالإمكان أفضل مما كان، ويمكن للبشر أن ينتقلوا إلى

(١) يضرب لمن يُعَيَّر صاحبه بغيث هو فيه. كما عن مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني

مرحلة أفضل وعلى الناس أن يعملوا له وان يكون لديهم أمل.. ليس الشيعة هم الذين يعيشون الاحباط بل بالعكس هم من يقاومون الإحباط وهم من يشعلون شمعة الأمل.. ويرون أنه مهما اشتدت الأمور سوءاً والمشاكل زادت عنفاً ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج المهدي من آل محمد!

هنا مصنع الأمل، وهنا مصنع العمل، وهنا مصنع الرضا للأفكار الفاسدة، وهنا عدم القبول بما يكرسه الظالمون الفاسدون والقوى الكبرى، لا نقبل بهذا.. بل نحن ننتظر وضعاً أفضل من ذلك يحققه مهدي آخر الزمان عجل الله تعالى فرجه وجعلنا اللهم من انصاره وأعوانه.

نحن ننتظره، ونحسب الأيام، ليس انتظاراً سلبياً وإنما نمارس أعمالنا، ونهيء لهذا الظهور، نتحرك طبق إرادته ورضاه، نعتقد أنه ناظرٌ لنا شاهدٌ علينا، مراقب لنا، عنده حضور في هذه المجتمعات.. هذا المعنى يجعل الإنسان يتحرك باتجاه الفضيلة والتقوى وإشاعة العدل والإنصاف.. ننتظر ذلك اليوم الذي يقول عنه الإمام الباقر (عليه السلام): (كأنني به وقف بين الركن والمقام ينادي أيها الناس ألا أن جدي الحسين قتل مظلوماً، ألا ان جدي الحسين قد سحقوه عدواناً).^(١)

المصادر

المصادر بعد القرآن الكريم

١. الألباني: محمد ناصر الدين؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة دار المعارف، الرياض السعودية.
٢. الأصفهاني الراغب: الحسين بن محمد؛ المفردات في غريب القرآن دار القلم، الدار الشامية - دمشق.
٣. الأندلسي؛ علي بن أحمد بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي - القاهرة.
٤. الايرواني: محمد باقر؛ الإمام المهدي بين التواتر وحساب الاحتمال. مركز الأبحاث العقائدية قم.
٥. بابويه: محمد بن علي بن الحسين بن: كمال الدين وتمام النعمة: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم ايران.

٦. البروجردي: حسين الطباطبائي؛ جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة مطبعة مهر - قم ١٤١٥ هـ.
٧. تراثنا؛ مجلة تصدر عن مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم
٨. التبريزي؛ الشيخ أبو طالب التجليل: من هو المهدي عليه السلام، مؤسسة النشر الإسلامي، قم
٩. ابن تيمية؛ أحمد بن عبد الحلیم: منهاج السنة النبوية، ت محمد رشاد، جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٦ هـ.
١٠. الجزري: علي بن محمد الشيباني (ابن الأثير)؛ الكامل في التاريخ؛ دار صادر. بيروت.
١١. الجوزي: أبو الفرج بن؛ المتظم في تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية.
١٢. حنبل؛ أحمد: مسند الإمام أحمد بن. دار صادر بيروت.
١٣. الخوئي؛ السيد أبو القاسم الموسوي: استفتايات (١٣٨١ ش) (فارسی)، مؤسسة احياء آثار الامام الخوئي - قم.
١٤. الدينوري: عبد الله بن مسلم بن قتيبة؛ غريب الحديث؛ مطبعة العاني. بغداد.
١٥. الذهبي؛ محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، بشار معروف، مؤسسة الرسالة ١٩٨٥ م.
١٦. الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج

العروس، دار الهداية.

١٧. الزركلي: خير الدين؛ الأعلام: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.

١٨. السامرائي: د عبد الحميد؛ دولة الموحدين؛ دار الكتب العلمية بيروت.

١٩. سلمان؛ أحمد: سيدة الإماء عليها السلام ، شعبة البحوث والدراسات في العتبة الحسينية ، كربلاء العراق ١٤٤٢ هـ

٢٠. السيوطي؛ جلال الدين: الحاوي للفتاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ٢٠٠٤ م

٢١. الشيرازي: ناصر مكارم؛ الأمثل في تفسير الكتاب المنزل. مدرسة الإمام علي بن ابي طالب. قم.

٢٢. الصالحى الشامي: محمد بن يوسف؛ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد دار الكتب العلمية بيروت.

٢٣. الصافي الغلپايگاني؛ الشيخ لطف الله: منتخب الأثر في أحوال الإمام الثاني عشر، نشر مكتب المؤلف قم، ١٤٢٢.

٢٤. الصدر: محمد محمد صادق؛ تاريخ ما بعد الظهور. دار التعارف بيروت.

٢٥. الصفار؛ محمد بن الحسن بن فروخ: بصائر الدرجات، ت ميرزا حسن، منشورات الأعلمي - طهران ١٤٠٤.

٢٦. الطبراني؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط ،
ت طارق محمد والحسيني ، دار الحرمين - القاهرة ١٩٩٥ م
٢٧. الطبرسي: أحمد بن علي بن أبي طالب؛ الاحتجاج: دار
النعمان للطباعة والنشر النجف الأشرف العراق.
٢٨. الطبرسي: أحمد بن علي بن أبي طالب؛ الاحتجاج، مطابع
النعمان. النجف العراق.
٢٩. الطبري: محمد بن جرير؛ تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن
رسول الله من الأخبار مطبعة المدني - القاهرة.
٣٠. الطوسي: محمد بن الحسن؛ الغيبة. مؤسسة المعارف
الاسلامية، قم المقدسة. ١٤١١هـ.
٣١. الطوسي: نصير الدين محمد بن محمد؛ تجريد الاعتقاد
مكتب الاعلام الاسلامي، طهران.
٣٢. العاملي: جعفر مرتضى؛ خلفيات مأساة الزهراء. دار السيرة
بيروت.
٣٣. العاملي: محمد بن الحسن الحر؛ إثبات الهداة. مؤسسة
الأعلمي بيروت ١٤٢٢هـ.
٣٤. العميدي؛ ثامر هاشم: دفاع عن الكافي، مركز الغدير
للدراسات، قم.
٣٥. العياشي؛ محمد بن مسعود: تفسير العياشي، ت هاشم

- المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران.
٣٦. فوزي: محمد؛ نظام الادارة الدينية عند الشيعة الإمامية؛ دار البيان العربي. بيروت.
٣٧. قدامة: عبد الله بن أحمد بن؛ المغني. دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع بيروت.
٣٨. القزويني؛ السيد محمد كاظم: الإمام المهدي (عليه السلام) من المهد إلى الظهور، دار الانصار - قم ١٤٢٧.
٣٩. الكاشاني: محمد محسن الفيض؛ الوافي. كتابخانه امام أمير المؤمنين على عليه السلام اصفهان ١٤٠٦ هـ.
٤٠. كثير ابن: اسماعيل؛ تفسير القرآن العظيم: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
٤١. الكليني: محمد بن يعقوب؛ الكافي: دار الكتب الإسلامية طهران ايران.
٤٢. الكوراني؛ الشيخ حسين: آداب عصر الغيبة ، دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٤٤١.
٤٣. المازندراني: محمد صالح؛ شرح أصول الكافي دار احياء التراث العربي بيروت.
٤٤. المجلسي: المولى محمد باقر؛ زاد المعاد. منشورات الأعلمي. بيروت ١٤٢٣ هـ.

٤٥. المروزي أبو عبد الله نعيم بن حماد؛ كتاب الفتن. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

٦٤. المشهدي محمد ابن: المزار مركز النشر الاسلامي قم.

٤٧. المنتظري: حسين علي؛ من المبدأ إلى المعاد في حوار طالبين: انتشارات دار الفكر قم ايران.

٤٨. النعماني: محمد بن ابراهيم؛ كتاب الغيبة؛ نشر أنوار الهدى قم ايران ١٤٢٢ هـ.

٤٩. النوري الطبرسي: حسين؛ خاتمة المستدرک: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم - ايران.

٥٠. الهيثمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر؛ الصواعق المحرقة؛ مؤسسة الرسالة - لبنان.

٥١. هيئة الإذاعة البريطانية BBC على الانترنت.. مقابلات مع بعض من بقي على قيد الحياة منهم او من المقربين منهم.

www.bbc.com/arabic/middleeast-40574360

www.m-mahdi.com/main/articles-799

شكرٌ ودعاءٌ

أتقدم بخالص الشكر للأخوات الفاضلات ؛ فاطمة الخويلدي، وخديجة العيد، وأم هادي بدر، وفاطمة .. على جهودهن الطيبة في كتابة هذه المحاضرات وتفريغها من التسجيل الصوتي، وأشكر الأخ الفاضل عيسى الريح كذلك لجهده الطيب في الكتابة وأسأل الله سبحانه له وله خير الدنيا والآخرة .

الفهرس

7.....	مقدمة
11.....	الإمام المهدي في سطور تعريفية
17.....	الإمام المهدي من الميلاد إلى الظهور
61.....	هكذا تحدث المعصومون عن الإمام المهدي ﷺ
79.....	عن إمامة المهدي وحياته الشخصية
99.....	معرفة الإمام المنتظر ﷺ
115.....	الغيبة الصغرى للمهدي والسفراء الأربعة
133.....	دور الإمام المهدي في الغيبة الكبرى
157.....	مسؤوليتنا في زمان صاحب الزمان ﷺ
175.....	الدعوات المهدوية الكاذبة
197.....	مسائل مهمة في القضية المهدوية
207.....	الإمام المهدي عدالة منتظرة ومسؤولية حاضرة
223.....	المصادر

قنوات التواصل مع الشيخ

الايمل	fawzialsaif@gmail.com
الموقع الالكتروني	www.al-saif.net
قناة اليوتيوب	m.youtube.com/user/Fawzialsaif
تطبيق آيفون	bit.ly/alsaifapp
تطبيق أندرويد	bit.ly/1zPHwFh
قناة التلغرام	bit.ly/1M8Lzhk
المجموعة الصوتية الكاملة على دروبوكس	goo.gl/VMmT7X
روابط المقاطع القصيرة	goo.gl/XkTvmj
قناة الساوند كلاود	m.soundcloud.com/fawzialsaif
تطبيق الكتب اندرويد	play.google.com/store/apps/details?id=net.alsaif.books
ايفون وايباد	appsto.re/us/_ptClb.i
الموقع الرديف	al-saif.app
الانستغرام	instagram.com/fawzialsaif_short-clips?igshid=195m0v23vh9mx
قناة بودكاست الشيخ فوزي آل سيف لجوالاات الايفون	apple.co/31oqGiO